خواطر

ثروت أباظة

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت : ٥٩٠٨٩٢٠

مجلة الإذاعة والتليفزيون
عدد : ٢١١٤
سبتمبر ١٩٧٥

إذا أشـــرق الشعـــاع وضحـــت الكلمات

حين يأتى على الناس زمان يصبـح الحديـث فيه صراحـة أو همسـا ، ينزوى الإنسـان فـى داخـل الإنسـان ، وتسـقط القيـم وتنهـدم الكرامـة وتصبح الحياة صورة ممسوخة مشوهة ، غير خليقة بأن تعـاش ولا خليقـة بأن تدوم .

ذلك أن الصراخ لغة الخنـاجر والخنـاجر لا عمـل لها ، والهمـس لغة الخوف والخوف لا ضمير له ، وإذا إنعدم العقل وامّحى الضمير سـقطت الحياة .

وقد عشنا هذه الفترة ، وأبينا فيهـا أن نصرخ لأن الصـارخين آنـذاك كانوا أدوات لتكبير الأصوات ، وكانت الأصـوات جميعهـا تنبعـث عـن مصدر واحد .

وعشنا هذه الفترة ، وأبيَنا أن نهمس لأن ضمائرنا أبت علينا أن تكون همسا ولنا أقلام . وإذا كرم اللّه القلم فأقسم به ، فعار على الإنسـان أن يمتهن هذا القلم الذى وهبه اللّه له . فبالكلمة عاشت الأديان جميعا ..

اختارها اللّه لتكون معجزة معجزاته علـى الأرض . . فحيـن اختفـت شمس موسى وعصاه ، وحين ماتت طيور عيسى ومرضاه ، وبقيت كلمة اللّه خالدة على وجه الزمان تثبت دعائم الأديـان جميعـا ، فتشـرق شمـس موسى وتسعى عصـاه ، وتعيـش طيـور عيسـى ويحيـا مرضـاه . فحـامل

الكلمة هو شرف الحياة وهو وجودها وهو قيمتها . شاهد عصره ، ونبض قومه ، وآهة المظلوم فيهم المُهان ، وعضة الجوع عند فقيرهم والمعدِم ، وموقظ الضمير عند غنيهم ذى الكظة القاسى . وصاحب الكلمة هو وحده من يستطيع أن يقول للطاغوت جاوزت المدى والحدود ، فمهلا أو تحيط بك عدالة السماء ينزلها عليك أبناء الأرض .

وقلنا وكانت كلماتنا تتخفى فى السرد الروائى والقصص ، وكان الشعب العربى ينفذ إلى ما وراء الخفاء فيقتنص المحجب من وراء ستار ويذيعه ، ويسمع الحاكم الطاغوت ويقف حائرا بين أن ينزل عقابه وهو سفاح ، وأن يكتم غيظه فلا يذيع ما استتر ، ولا يشتهر ما استسر ، ولا تصبح الكلمة التى يحررها الناس واضحة شهيرة .

وتمر بنا الأيام كالحة السواد ، لا هى تقتل فتريح ، ولا هى تشرق فنعيش ، ولكن الحيرة لم تطل بالطاغوت فإن كان من حسن الرأى ألا ينزل علينا عقابه الشهير ، فلا بأس أن ينزل علينا عقابه المتخفى وراء النذالة والجبن . ويمر عشرون عاما ونيف على صاحب هذا القلم بغير مكان ثابت فى مجلة أو جريدة مصرية . ويأبى صاحب هذا القلم أن ينسب لغير مصر فمن أجلها قال كلمته ، ومن أجلها يعيش إذا كان لعيشه معنى ، ومن أجلها يموت إذا كان موته يحمى هباءة هائمة بين سمائها وأرضها .

حتى إذا أذن الله لمصر أن يعود إليها شعاع من النور ، توقف الصراخ وإنقطع الهمس وصار الحديث كلاما يقوله عقل لعقل ، وقلب لقلب ، وضمير لضمير . عادت العقول والقلوب والضمائر إلى الحياة فى دفء الشعاع العائد ، وأزال الكلام عنه حجابه وظهر للناس واضحا كالعمل

الطيب . وقلنا . . ولكن الذى سمع منا كان إنسانا و لم يكن سرطانا بشريا غير جدير بأن يسمى .

وأحس الإنسان أن ما يسمعه إنما يقال من أجل مصر . ومصر عند هذا الإنسان هى حياته وروحه ، وهب لها نفسه عند حرب ، ووهب لها نفسه عند سلم ، واثقا أنه إذا عاشت مصر . . عاش العرب جميعا . . .

ولأنه إنسان عرف مصادر الحديث واتجاهه ومنحاه ، ولأنه عرف هذا وجد صاحب هذا القلم مكانا ثابتا يخاطبك منه مطمئنا إلى غده ناظراً إلى أمسه ، قرير الخلجات مطمئن الجوانح

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١١٦
أكتوبر ١٩٧٥

قطعة الأرض هذه . .

يقولون إننا بعنا مبادئنا فى سبيل قطعة أرض . والبيع فى سبيل المبدأ تعارف الناس أن يكون عملية يعود نفعها على شخص بذاته ، هانت عليه مبادئه فباعها ليكسب كسبا خاصا . فقولهم هذا يثير الإضحاك بقدر ما يثير الإشفاق . فهل أنور السادات اقتنى فى عملية فك الاشتباك الثانى بضعة أفدنة يعود ربعها عليه ؟

ما هى مبادئنا ؟ إنها تحرير الأرض . . وما هى مبادئ المقاومة ؟ إنها تحرير الأرض . أما مبادئ سوريا فهى الهتاف لحزب البعث ، وبقاؤه فى الحكم وليكن بعد ذلك ما يكون .

أما نحن فقد قدر لنا أن تكون هذه مبادئنا لعدة فترات من التاريخ ، وكان آخرها تحرير أرضنا من الإنجليز . ولم نصل إلى ذلك إلا حين سقطت الإمبراطورية البريطانية جميعا وسقطت شمسها التى كانت لا تغيب عن أملاكها . وبعد ذلك وقبل ذلك كانت مبادئنا تحرير الأرض الفلسطينية من العدوان الصهيونى . وبذلنا فى سبيل ذلك دماء شهدائنا فى عامى ٤٨ ، ٥٦ مجللة بالمال المعتصر من قلوب أبناء مصر ، وبذلنا فى سبيل ذلك دماء شهدائنا فى عام ٦٧ ، وخضبنا هذا المال نفسه وقد زاد عليه خزى الهزيمة وانكسار العزة وهوان الكرامة .

ثم انتصرنا واجتحنا برليف وأسطورة إسرائيل التى لا تهزم ، وقدمنا الدم الغالى والمال . ولكننا سعدنا بالدم والمال جميعا أن أعاد للعرب جميعا

عزتهم وكرامتهم ، ومنحهم فوق ذلك أموالا من البترول ما كانوا ليحلموا بها فى يوم من الأيام . وآن لنا أن نحقق شيئا من مبادئنا فنسترد جزءا من أرضنا ، فاسترداد جزء من أرضنا هو فى ذاته تحقيق بعض من مبادئنا .

ذلك أننا لم نجعل من مبادئنا تجارة ، ولا جعلنا من أنفسنا فى عهد السادات قراصنة نهدد الدول العربية لتنال من أموالها مالا يطيب لها أن تعطيه .

لقد كنا على بينة دائما بالدور الذى قدر لمصر أن تقوم به لتدفع ضريبة مكانتها الضخمة بين الدول العربية .

فأى مبادئ بعنا ، وماذا كسبنا فى سبيل ما بعنا إلا أن نسترد جزءا من أراضينا ومواقعنا الحربية وأموالنا التى اغتصبت فى سبيل قضية فلسطين .

وبعد فياترى هل أحس الناعقون بالخزى حين كشفت المواد السرية من الاتفاقية ، واستبان أمرها عن تعهدات مبذولة جميعها من أمريكا لمصلحة سوريا والفلسطينين ؟

ولكن ما هذا السؤال ؟ أمثل هؤلاء يخجلون ؟ . .

وهل أدل على ذلك من قول راديو دمشق أننا لا نعتمد على ضمانات أمريكا أو الرئيس فورد لنا والرئيس السادات ، لأن ضماننا الوحيد هو قوتنا الذاتية .

أهؤلاء يخجلون ؟ إذن فلا بد لنا أن نذكرهم أننا رأينا قوتهم الذاتية ونعرفها حق المعرفة . فبهذه القوة الذاتية فقدوا الجولان فى عام ١٩٦٧ .

وفى حرب الانتصار ٧٣ أوشكت قوتهم الذاتية أن تستقبل الجيوش الصهيونية فى دمشق .

ترى ألا يعرف الشعب السورى هذه الحقيقة كما تعرفها جميع الشعوب العربية ؟ فأى قوة ذاتية يتحدثون عنها ؟ اللهم إلا أن تكون قوة الحناجر المشقوقة والصراخ المجنون والوجه الجامد الذى لا يدركه الحياء .؟

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١١٧
١١ أكتوبر ١٩٧٥

بورك هذا المعول

أيدرى المعول الذى أهوى على سجن طرة ماذا حطم ؟ إنه لم يحطم جداراً من الطوب وإنما جداراً من الخوف . ولم يكن هذا الجدار يحيط بنزلاء السجن وحدهم ، وإنما كان فى قوة سحرية شرسة عاتية ، يحيط بنفوس المصريين جميعا فيحيل حياتهم فزعا ونومهم أرقا ويومهم بؤسا وغدهم هلعا .

وبنفس السحر الأسود كان يحيط بنفوس الأبناء والإخوة وذوى الرحم ، فيحيل الصلات بين بعضهم وبعض توجسا وتخوفا ، ويحيل الحب المشرق إلى خيانة ، والود الذى تباركه السماء إلى البغض الذى يدنسه المال أو الرعب من السلطان .

هذا المعول الذى سقط على السجن هو نفس المعول الذى حطم بارليف لأنه بيد الإيمان بالحق يهوى . وهو نفسه الذى صعق أذيال السخيمة السوداء من الحقد فى منتصف مايو ، وهو الذى محق حكم الهوى ليقيم حكم القانون ، ودحض دعوى الباطل ليرفع شعار الإيمان باللّه تقدست أسماؤه ، والأنبياء صلى اللّه عليهم أجمعين .

وبهذا المعول منذ أشرق شعاعه فى آفاق سمائنا أشرقت منا الروح ، وتحررت النفوس من كبول الهلع ، وارتفعت « اللّه أكبر » تملأ حولنا

العالمين . وانتمينا إلى أغلى وأسمى ما يمكن أن ننتمى إليه . . مصر ! عائدين إليها بعد أن غابت عنا وغبنا عهدا عهيدا وزمنا بعيدا ، فكانت من غيرنا حائرة فى دنيا الدول ، وكنا من غيرها حيارى فى دنيا الناس ، حتى هدى الله الحيرة وانتمت إلى أبنائها وانتمى إليها أبناؤها ، فبوركت أيها المعول ،

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١١٨
١٨ أكتوبر ١٩٧٥

سقوط الفعل الماضى

فى اللغة العربية فعل يسمى الفعل الماضى يطلق على ماتم فعلا من أحداث فيقال قرأت الدرس ، أى أن فعل القراءة تم فعلا ونفذ ، وأصبح من الأحداث التى مضى عليها الزمن واتخذ موقعه من التاريخ .

والملاحظ أن هذا الفعل اندثر تماما من بيانات الوزراء بل وكاد يندثر معه الفعل المضارع أيضا . فأنت لا تقرأ بيانا يقول تم وهو فعل ماض ، أو يتم وهو فعل مضارع ، إنما الفعل صاحب الحظوة الذى لا يخلو منه حديث لوزير أو بيان لمسئول . هو الفعل الذى يدل على الاستقبال ، أى أن العمل سيتم فى يوم من الأيام التى لم تطلع شمسها بعد ، والتى لا يعرف أحد متى تطلع ؟ وهذا الفعل كريه للشعب لا يحبه ولا يشتهى أن يسمعه لأن فيه معنى الوعد . ومصر وشعبها عاشت على الوعود الزائفة أجيالا طويلة حتى أصبحت تكره الوعود وتكره تبعا لها فعل المستقبل . فقد وعدها الإنجليز وأخلفوا لها الوعد سنوات طويلة من عمرها ، ووعدها كل رئيس وزراء ووعدها كل مسئول فكرهت مصر الوعد . .

أثار فى نفسى هذا الحديث وعد أخير طال به الأمد وهو وعد هين التنفيذ ميسور التحقيق . ولكن حب فعل الاستقبال وكره الفعل الماضى حال (فعل ماض) ويحول « فعل مضارع » دون تنفيذه . يتصل هذا

الوعد بشأن التليفونات عندنا ، لأنهم يستطيعون بقوة سحرية خارقة كالعادة أن يجعلوا هذه التليفونات تنطق من حين إلى حين . وفى اعتقادى أنه لو اجتمع الشياطين ومجامع السحرة لعجزوا عن تحقيق هذه المعجزة . فإن القائمين بشأن التليفونات يعملون بأدوات يجب أن تعدم منذ سنوات طويلة . فلو أن هذه الأدوات ذهبت إلى بلد حديث لراح أهل العلم فيها يدورون حولها كأعجوبة من عجائب التاريخ ، ومع ذلك فهى تعمل عندنا . وقد أخبرنى المهندس مقبل البدراوى أنه يحتاج إلى خمسين مليون جنيه وهى فى عرف الدول ليست مبلغا مهولا مخيفا . والتليفونات ليست شيئا تعود فائدته على أبناء مصر فقد تعود أبناء مصر أن يصبروا أنفسهم على الشدائد . ولكن المهم الآن هو هذا الانفتاح الذى يقع بأجمعه فى أفعال استقبال لا نهاية لها . لا يعقل أن يأتى راغب فى الانفتاح ويرفع السماعة ويجلس بجانبها ساعات حتى يصيبها الور . فالوقت عند هؤلاء ليس سلعة ملقاة على الطريق ، إنه يعنى مالا . والمال عندهم كميات ضخمة ليسوا على استعداد أن يضحوا بها فى سبيل ور التليفون المصرى .

ترى هل أسمح لأمل هزيل أن يداعب نفسى فيعلن وزير المالية أو وزير الخزانة بيانا مصدرا بفعل (ماض) تسلمت مصلحة التليفونات مبلغ خمسين مليون جنيه لإحياء آلة قديمة عندنا كانت فيما مضى تصل الناس بعضهم ببعض ، وأصبحت اليوم آنية لا تصلح حتى للزهور . . .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١١٩
٢٥ أكتوبر ١٩٧٥

شوقى فى ذكراه

إن ذكرى شوقى هى كل يوم من أيام مصر ومن أيام العرب جميعا ، فهو أعظم شاعر أنجبته العربية وقد أحس هو بمكانته قدر ما عرف العرب هذه المكانة .

وحولى فتية غرّ صباح لهم فى الفضل غايات وسبق
على لهواتهم شعراء لسن وفى أعطافهم خطباء شدق
رواة قصائدى فاعجب لشعر بكل محلة يرويه خلق

وتجد إحساسه هذا حين يقول فى حفل تنصيبه أميرا للشعراء :

رب جارِ تلفت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى معزيا بمآقى وطنى أو مهنئا بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشر ق وكان العزاء فى أحزانه

وهكذا لم تغب عن شوقى المكانة التى تصدرها فى العالم العربى ، بل هى فى الواقع المكانة التى تصدرها الأدب المصرى عامة فى الأدب العربى . فطه حسين وهيكل والحكيم والعقاد والمازنى وتيمور والزيات ، وكل هذا الرعيل هو الذى أنشأ الأدب العربى ، وعلى مشكاة هؤلاء وجد الأدب العربى طريقه فى الحياة .

وقد أنشأ شوقى المسرحية الشعرية و لم يطق أن يسير وراءه فيه إلا شاعر تتلمذ عليه وظل وفيا له إلى أن اختاره اللّه وهو المرحوم عزيز أباظة . ثم وقفت المسرحية الشعرية بالشعر الأصيل عن السير فى الطريق ، وراد الشرقاوى الطريق بعد العملاقين شوقى وعزيز بأعمال كثيرة وصلاح عبد الصبور بأعمال قليلة ، ولكن كليهما صدف عن الشعر الأصيل إلى الشعر الحر ، وربما كان مجال المسرحية والملحمة أصلح المجالات للشعر الحر . ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن يسبق إلى الشعر الأصيل فى قوة جرسه وإحكام قافيته وموسيقية الكلمة فيه .

وعلى أية حال فإن مصر التى عدت عليها فترات سوداء من الأزمات المالية والاجتماعية والنفسية ، و لم تنكص عن مكانتها الثقافية بفضل عماليق الأدب هؤلاء الذين اكتمل إشراقهم بشوقى معجزة دهره ولغته ، وأننا لا نملك إلا أن نرثيه بقوله هو :

وما هو ميت ولكنه بشاشة دهر محاها الزمن
ومعنى خلا القول من لفظه وحلم تطاير عنه الوسن
لو أنصف الصحب يوم الوداع دفنت كإسحق لما دفن
فغيبت فى المسك لا فى التراب وأدرجت فى الورد لا فى الكفن

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٢
١٥ نوفمبر ١٩٧٥

من أمريكا

تحيا مصر

وصلت إلى أمريكا قبل أن يصل إليها الرئيس بيوم ، فكان من الطبيعى أن أكلم ابنة عمى وزوجها الدكتور إبراهيم الترعى الطبيب المشهور ، وكان قد ترك مصر فى تلك الأوقات التى جعلت مثله يتركون مصر . تبادلنا التحية وعرف الدكتور الترعى أننى لن أستطيع أن أذهب إليهم لبعدهم الشاسع عن المنطقة التى تدور الرحلة فيها ، وقبل أن تنتهى المكالمة وجدت الدكتور إبراهيم يهتف تحيا مصر ، ووجدت نفسى أهتف تحيا مصر . ومنذ هذه اللحظة وحتى الآن وأنا أكتب هذه الكلمات وأنا لا أتوقف عن الهتاف « تحيا مصر » . وقلتها وأنا أرى رئيس مصر يستقبله الرئيس الأمريكى فى البيت الأبيض ويستقبله معه الرسميون ووحدات رمزية من الجيش ، وأهم من ذلك جميعاً بمجموعة كبيرة من الشعب الأمريكى وقد خصص لها مكان فى الاحتفال تلوح بالعلم المصرى والعلم الأمريكى لرئيسنا .

وهتفت بها وأنا أرى الحفل الذى أعده الرئيس الأمريكى فى البيت الأبيض وقد وقف الرئيسان مع كل منهما السيدة قرينته يستقبلون جميعا ضيوف الحفل .

وهتفت بها وهتفت وأنا أرى الشعب الأمريكى جميعاً ممثلا فى نوابه وشيوخه يستقبلون الرئيس المصرى واقفين جميعاً وقد أخذوا يصفقون له تصفيقاً لا يريد أن ينتهى ، حتى إن الرئيس السادات أخذ يشير لهم مرات أن يجلسوا وهم مستمرون فى التصفيق .

ثم هم يقاطعونه مرتين بالتصفيق أثناء الخطبة . مرة حين قال إننا جئنا لا نريد مالا ولا سلاحا وإنما نريد أن نوطد صداقتنا بالشعب الأمريكى . ومرة حين قال إننا نمثل حضارة تمتد سبعة آلاف سنة فى أعماق التاريخ، حتى إذا انتهى الخطاب نزل الرئيس قاصدا باب الخروج يحف به التصفيق الحاد والنواب على الجانبين يصافحونه على غير معرفة شخصية ، ويصاحبه التصفيق حتى يخرج تماما من باب الكونجرس وأهتف أنا وأهتف : تحيا مصر .

مصر التى . . . بذلت دماءها ومالها من أجل العرب جميعاً .

. . . مصر التى شمخت على الإذلال ، وترفعت عن المهانة ، وتكبرت على الجبروت . .

... مصر التى أنارت العالم العربى جميعاً بالفكر الأدبى والعلمى ، ومازالت رفيعة المصابيح وضاءة الإشعاع .

مصر التى شاء اللّه أن يمتحنها بفترة قاسية من عمرها ، فكتب عليها الهزيمة حين كانت تحارب فى ظل قيادة لا تنير الطريق ، حتى إذا تزعمها من يحبها ولا يحب نفسه ، ومن يريد لها الرفعة ولا يريد لنفسه التأله ، ومن يبث الإيمان فى نفوس أبنائها المحاربين باللّه وبها لا الشيطان ولا بنفسه ، حاربت حربها المنتصرة وخاضتها ضارية لأنها بها تريد السلام لنفسها وللبلاد العربية وللعالم .

وقد كانت الأيدى التى تصفق فى أمريكا تصفق عن مشاعر عرفت السلام الذى تريده مصر ورأته حين انتصرت مصر ، فلم تتكبر لأن الكبار يكبرون ولا يتكبرون ، وكانت الأيدى تصفق عن تقدير لرئيس مصر الذى يعمل فى عظمة الواثق بنفسه وبوطنه العريق لا فى جنون المتعاظم ، ولا فى تشدق هواة الخطب ، ولا فى عربدة المحاربين بالشعارات .

فئتان فى أمريكا قتلهما الغيظ من نجاح زيارة الرئيس السادات هما : الصهيونيون والفلسطينيون . لقد اتفق الصهيونى والفلسطينى فى الولايات المتحدة وفى إنجلترا على مهاجمة الرئيس السادات . حتى لقد وقفت جماعة من كل منهما أمام فندق كلاردج بلندن حيث كان ينزل الرئيس يهتفون بلسان واحد وبلغة واحدة ، ولم يخجل الفلسطينيون ...

إن كان الرئيس قد قبل أن يرضى الصهاينة فلماذا يهتف ضده الصهاينة ..؟!!

وإن كان بتحركه هذا يغضبهم فلماذا يهتف ضده الفلسطينيون ..؟!!

كيف يتفق السارق والمسروق . وكيف يهتف كلاهما بلسان واحد وينبض قلب كل منهما بمشاعر واحدة ..؟!!

أم ترى كلاهما سارق .. إحدى الفئتين سرقت دولة ، والفئة الأخرى تسرق أموال دول ، والتقت المصالح المتضاربة والتأم الشر والجشع واتفق النهب وقطع الطريق ، ونطق لسان واحد عن فئتين تدعى كل منهما للأخرى بغضا . ونعيش كل من الفئتين حياتها على حساب هذا البغض . فأما فئة الصهاينة فتدعى أمام أمريكا أن العرب يكرهونها فهى تريد السلاح والمال لتدافع عن نفسها ضد العرب ، وأما الفئة

الأخرى فتدعى أن فئة الصهاينـة لا تريـد أن تعيدهـم إلى وطنهـم ، فهـم يريدون المال والسلاح ليقتحموا على الصهاينة الوطن السليب . ويصبـح السلاح بعد ذلك سلاحاً على العرب ، ويذهب المال إلى متاجر الصهاينة فى لندن ونيويورك ... لا يهم إنما المهم ألا تنتهى القضية إلى سلام . فإن قبل زعيم عربى حصيف سلاماً فهم عليه حرب ، وإن اتفقـوا فـى ذلـك مع الصهاينة . ؟ !!

... نعم وإن .

ولكن كبار الساسة فى العالم يدركون . وتقـف أمريكـا كلهـا تحيـى الرئيس . ونلتقى برجل الشارع فى أمريكا فنجده متابعا زيـارة السـادات فى حب وإعزاز ... ويقول لى أحدهم وكنت معه على عشاء : إننا نرى فى وجه رئيسكم وجه رجل صادق ، حتى ليخيل إلىّ أننى لو التقيت بـه وطلب إلىّ أن أفعل أى شىء لفعلته دون تردد .

ويسألنا سائق السيارة الأجرة عن الرئيس وعـن زوجتـه ، ويقـول لنـا آخـر إنـه سـعيد أن الرئيـس اسـتقبل هـذا الاسـتقبال مـن نـواب أمريكـا وشيوخها .

... وتنبح الكلاب فى موكب السلام ، ولكن صوتها مخنوق بالبـاطل الذى تدين به وبالجشع الذى يتملكها . وتعلو الكلمة الحـرة البعيـدة عـن الغرض ، الرفيعة عن التملق ، المتأبية عن السوقية .

وتحيا مصر .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٤
٢٩ نوفمبر ١٩٧٥

ماذا عن .. المنابر ؟
وماذا عن .. الأحزاب ؟

لا أحسب أن اللجنة المركزية أو الاتحاد الاشتراكى جهة صالحة لإعطاء الرأى فى المنابر التى قد تتكون . فواضح منذ الوهلة الأولى أن هذه المنابر قد تجتذب كثيرا من الفاعلية لا يتمتع بها الاتحاد الاشتراكى . والقول بأن المنابر تتكون فى ظل الاتحاد الاشتراكى قول قد يجد الكثير من الجهد ليقتنع به أحد . فكل منبر من هذه المنابر سيضم نفس الفئات التى تكون الاتحاد الاشتراكى . وهذه الفئات التى تكون الاتحاد الاشتراكى هى فى حقيقة الأمر المكونات الطبيعية لأى تجمع سياسى . فكل فئة منها لا تصلح بذاتها أن تكون تجمعا سياسيا مهما يكن الاسم الذى سيطلقه على نفسه هذا التجمع . ولا أعتقد أن هناك مرجعا غير الشعب ليدلى برأيه فوق هذه المنابر .

وإن ذهاب السيد رئيس الجمهورية إلى اجتماع اللجنة المركزية دون إخطار سابق ، هو فى ذاته إشعار أنه يريد رأى الشعب لا رأيا آخر . وفى اعتقادى أن الرأى الذى أدلى به السيد الرئيس عن هذه المنابر ، أدلى به كفرد من أفراد الشعب لا كرئيس للجمهورية ، وكأنما أراد الرئيس أن يضرب المثل من نفسه للشعب جميعا أن يدلى برأيه .

وقد حرص الرئيس منذ فترة أن يطرح أمر الديمقراطية على الشعب . وهو يعلم مسبقا أن الاتحاد الاشتراكى سيكون معارضا لأى صيغة للديمقراطية ، ولهذا لم يكن رأيه وحده كافيا ، بل كانت تستدعى فئات أخرى لتدلى برأيها .

والحقيقة أن صاحب المصلحة لا رأى له . والذين استفادوا من الفترة السابقة فائدة مادية شخصية هم إنما يدافعون عن البقايا الهزيلة من الفوائد الضارية التى جنوها من غياب الديمقراطية ، وهم حين ينزلون بعناصر تكوينهم إلى الشعب سيدرك الشعب عن أى منطلق يصدرون . لأن المفروض فى هذه المنابر أن تقوم حول أفكار واضحة جلية فلا يكون الأساس فيها أشخاصا أو مصالح .

ولهذا من العبث ، بل من المضحك أن يظن أحد أن الكلام عن الأحزاب معناه عودة الأحزاب القديمة ، بينما هذه الأحزاب لا تستطيع العودة حتى لو سمح لها أن تعود ، وما عليك إلا أن تلقى نظرة سريعة إلى أهمها لتعرف إلى أى مدى تستحيل العودة لهذه الأحزاب .

فحزب الوفد تكون ليفاوض الإنجليز . واسمه الوفد لأنه كان موفدا لهذه المفاوضة . ولم يعد هناك إنجليز ، ولم تعد هناك مفاوضة .

وحزب الأحرار الدستوريين انشق عن الوفد ليعارض « سعد » ويطالب بالجلاء مستقلا عن حزب الوفد . وسعد أصبح فى ذمة التاريخ، وليس من المعقول أن يتكون حزب اليوم ليعارضه . والجلاء قد تم فلا داعى لوجود جماعة سياسية تدعو إلى الجلاء .

والهيئة السعدية انشقت عن الوفد لأنها عارضت النحاس ورأت أنه مال عن مبادئ سعد .

والنحاس اختاره ربه وأصبح كقول شوقى .

وليس بنافعه الواصلون وليس بضائره من هجر

وسعد اليوم لا يحتاج إلى حزب يؤيده .

بقى بعد ذلك الحزب الوطنى . وهو الحزب الوحيد الذى رفع شعاراً « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء » . وكنا ونحن فى الجامعة فى أربعينات هذا القرن نتساءل إذا تم الجلاء ففيم المفاوضة . ؟ وعلى كل حال قد تم الجلاء وأصبحنا فى غير حاجة إلى المفاوضة وإن كنا فى حاجة شديدة إلى الوطنية .

فالذى أتصوره إذن أن فكرة الأحزاب المطروحة هى قيام أحزاب لا عودة أحزاب .

واعتقادى ــ مع حرصى الشديد على الحكم الديموقراطى ــ أن الوقت الآن غير صالح لقيام أحزاب بالمعنى المفهوم . ولعل قيام المنابر الآن أصلح للفترة التى نمر بها بعد غياب الديموقراطية مدة أوشكت تقترب من ربع القرن . ونحن لا نريد أن نعود إلى نوع الديمقراطية الذى كان موجوداً قبل الثورة . فهذه أيضا فكرة عجيبة تطرأ على ذهن بعض الكتاب ، ويناقشونها كأنها حقيقة واقعة . بينما الجميع يعرف أنها كانت ديموقراطية ناقصة يعوق انطلاقها الإنجليز والسراى ، ويعوق انطلاقها فساد بعض الزعامات ، وبعض الكتاب المغرضين يتخذون من هذا الفساد مبررا لفساد آخر فى الفترة الماضية . وهذا شيء مضحك . فإن

الثورة قامت لنقضى على هذا الخلل فى حياتنا السياسية والاجتماعية ، فإذا وقع المنتمون إليها فى خلل أشد وفساد أكثر إيغالا ، فاللوم أكبر . والأصل القانونى المعروف أن الخطأ لا يبرر الخطأ ، ولهذا نريد لحياتنا الديموقراطية الجديدة أن تقوم على أسمى الأسس وأكرم الأطناب ، واعتقادى أن فكرة المنابر الآن إذا قامت حول أفكار واضحة بينة ، تستطيع أن تمر بنا من المرحلة التى نجتازها اليوم .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٥
٦ ديسمبر ١٩٧٥

لا حياة لأدب بغير تراث

إن تراثنا الأدبى يشرف أى أدب ينتسب إليه ، وقد فشت بين شداة الأدب موجة تنأى بهم عن تراثهم الأصيل ، وولوا وجوههم شطر الأدب الأجنبى وحده .

ولشداة الأدب عذرهم فقد مرت فترة طويلة سيطرت فيها على الصحافة فئة تهدف أول ما تهدف إلى تحطيم التراث بادئة بالدين ، منتهية إلى التراث الأخلاقى والاجتماعى ، واقفة ومطيلة الوقوف عند الأدب العربى محاولة أن تمحوه من سماء مصر ، ليمحى بعد ذلك من سماء الوطن العربى أجمع .

وهؤلاء الشداة كما يقول شوقى :

فراخ بأيك فمن ناهض   يروض الجناح ومن أرغب

فاضطروا أن يصطنعوا ما ليس فيهم ، ويعتنقوا غير ما يؤمنون به ، لتجد أعمالهم سبيلها إلى النور .

ولكن القارئ لم يقبل هذا فصحح مسار الأعمال ، فإذا هى تجد سبيلها إلى الظلام ، ويصبح هؤلاء الشداة فى عماية كاملة من الجهل والتجهيل .

ذلك أنه لا حياة لأدب لا ينتسب إلى أعراقه الأصيلة ، ولا يركن إلى أصوله العريقة .

فحتى القصة والمسرحية ــ وهما الوافدتان على التراث الأدبي العربي ــ لا سبيل لهما أن يزدهرا وتسمق فروعهما إلى السماء ، إن لم يكن الكاتب فيهما ناظراً إلى أدبه في أسلوبه ، وإلى وطنه في موضوعه .

وإذا نظرنا إلى الآداب الأخرى وجدنا الأدباء المحدثين جميعا يدورون حول آدابهم القديمة . فشكسبير وديكنز وهاردى وغيرهم مازالوا أحياء بقوة وجبروت في الأدب الإنجليزي ، وكورني وراسين وفولتير وبلزاك ودوديه وغيرهم ما زالوا يتصدرون الأدب الفرنسي ، وتولستوى ودستيوفسكي وجوركي وغيرهم مازالوا أئمة الأدب الروسي رغم أنه أصبح أدبا سوفيتيا ، وانكمش من أدب عالمي إلى أدب محلي .

وقد كان نتيجة هذه الفترة الحالكة من تاريخ الصحافة المصرية والحياة المصرية جميعا ، أن أصبحت كتب التراث عزيزة المنال فارتفعت أسعارها حتى أصبح الشاب لا يطيق أن يقتنيها . ولهذا رأيت حين توليت العمل بهذه الدار أن أعيد طبع بعض كتب التراث ما وسعني الجهد ، وقد بدأت بكتاب البخلاء للجاحظ وقام الأستاذ عباس خضر مشكورا بتحقيقه وهو الآن على وشك الصدور .

وحين تفاوضت مع الأستاذ عثمان غنيمي المدير المالي لمجلة الإذاعة حول سعر الكتاب ، حدث شيء غريب . حاولت أنا أن أبيع الكتاب بسعر التكلفة فإذا بالرجل الذي ينتمي إلى عالم المال والحساب يقول إننا نقدم خدمة عامة ، فلا بأس علينا لو خسرنا بعض الشيء في البيع ، وخجلت من نفسي ووافقت المدير المالي أن نبيع الكتاب بأقل من ثمن

التكلفة ، وسيصدر الكتاب في جزأين متتابعين الأول في شهر يناير والثاني بعده مباشرة .

ترى هل تستطيع دور النشر أن تعين على هذا الهدف فتشاركنا في إعادة طبع التراث ، وإتاحته في أسعار ميسرة إلى الطلبة وشداة الأدب .. لكم أرجو ذلك !

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٦
١٣ديسمبر ١٩٧٥

الحصان الذى نفق

قصة قصيرة

لم يكن يسرى فقيرا فى القرية ولكنه كان تائها فى زحامها ، . محتقرا بين أهلها لا يشعر به أحد رغم جهده الجهيد أن يشعر الناس به . فقد كان لا يترك وسيلة يذكر بها الناس أنه حى ، وأنه يسعى بينهم ، وأنه ليس نكرة من النكرات إلا سعى إليها حثيثا ، وقد كان يحصل دائما على هزء الناس والسخرية به ، إلا أنه لم يستطع قط أن يحصل منهم على ما يريد من شعور بوجوده وأنه حى .

ولم يكن غناه فادحا ، ولكنه ـ مع ذلك ـ كان يدعو إلى الولائم فى كثير من الأحيان . وكان الناس يلبون دعوته ، ولكنهم ما أن يأكلوا ويتركوا بيته حتى ينسوا أمره ، وكأنه لم يكن .

ولم يكن يسرى مؤمنا بالله وما كان يصلى ، ولكنه مع هذا حريص على أن يشهد صلاة الجمعة مرتديا أجمل ما عنده من الملابس لا ينسى رباط عنقه الأحمر ، مقتنعا أن اللون الأحمر هو أكثر الألوان استدعاء للأنظار . ولكن الأنظار ـ مع ذلك ـ كانت تأخذه فهو موجود بغير وجود ، حاضر خير منه الغائب .

وكان يسرى يحرص أيضا على أن يخطب الناس بعد كل صلاة جمعة. ولم يكن طبعا يستطيع أن يحدثهم عن عدم إيمانه فهو مع كل حرصه على

أن يذكّر الناس بوجوده ، أكثر حرصا على أن يظل على قيد حياة . . أية حياة ولو أنه أطلع الناس على ما يعتمل فى نفسه من عدم إيمان لأصبح موته بأيديهم أمرا محققا .

وإنما كان يسرى يخطب الناس فى وجوب إعطاء الفقراء والمساكين والإحسان إليهم ، ولكن لم يقدر له أبدا أن يكمل خطبة إلى النهاية التى يريد أن تنتهى إليها . فما هى إلا جملة وأخرى حتى يصبح المسجد فارغا من الناس أجمعين .

فما كان أحد من أهل القرية ليلقى إليه سمعا وهم يعلمون أن الإحسان عنده كلام ، والشفقة بالمساكين عنده شقشقة ، وكفاهم دليلا على ذلك ما يعانيه منه عبد السميع ومحمدين وشفيق الذين يستأجرون أرضه . فإن أحدا فى القرية لا يعانى من الفقر والذلة والهوان والقهر ما يعانيه هؤلاء الثلاثة الذين قدر لهم أن يكونوا أجراء عنده . ويا طالما عرضوا أنفسهم على الملاك الآخرين ، ولكن أحدا لم يستطع أن يغيثهم فالمستأجرون فى القرية يرثون الأرض عن آبائهم ، ولا يستطيع مالك بل ولا يحب أن يخرج أحدا من أرضه ليعطيها إلى آخر .

وقد ضاق محمدين بمالك أرضه يسرى وضاق بالقرية جميعا فتركها ، وتسمت أرض الله فى بلاد الله ، ولم تعد القرية تعلم عنه شيئا .

وظل عبد السميع وشفيق يستأجران أرض يسرى وحدهما ، بعد أن حاول أن يجد مستأجرا آخر بدلا من محمدين فذهبت محاولاته سدى .

فالكلام منه إذن عن وجوب الإحسان خليق أن يجعل أهل القرية ينصرفون عنه وحتى إن لم يتوافر هذا السبب . فقد كان أهل القرية سينصرفون عنه أيضا لأنهم لا يشعرون أن له وجودا أو مكانا .

كان هذا الشعور بالضياع والإهمال يملأ نفس يسرى ويجعل نفسه تفيض مرارة وحقدا . فهو حاقد على كل غنى له بين القرية توقير واحترام ، وهو حاقد على كل متعلم يسمع الناس له فى اقتناع وإكبار . وهو أشد حقدا على المحترمين فى القرية دون أن يكون لاحترامهم سبب ظاهر إلا أنهم محترمون ، ولعل بعضهم لم يصب من العلم إلا قليلا . ولكن أهل القرية يحترمونهم ويقصدون إليهم إن طلبوا الرأى ، وينزلون عنه عندما يشيرون عليهم به .

نار من الحقد تفتك به ..نارمن داخله . لا سبيل أن يصل إليها شىء إلا ما يزيدها أواراً واشتعالا .

يخرج يسرى فى كل يوم إلى ظاهر القرية ، وينظر إليها فى كره شديد وألم عميق ومرارة قاتلة . ويظل قابعا منزويا كوحش كسير يحاول أن يتربص بأعدائه المصائب ، فتخذله الذلة ويقعد به الهوان . وبينما هو كذلك ، سمع جواداً يركض ويهز الأرض بأقدامه ، واقترب الصوت واقترب حتى تكشف عن الحصان وراكبه . . أما الحصان فمجنون أرعن، وأما صاحبه فخائف هالع .

— أين أنا ؟

— لا أدرى .

— ألا تعرف اسم القرية التى أنت منها ؟

— المنشية . . .

— من أين أنت قادم ؟

— لا شأن لك . . أتشترى هذا الحصان .

— ماذا ؟

ـ ألم تسمع ؟ . . . لا وقت عندى للدلع .

حصان . . أيشترى هو حصانا . وما البأس ؟ . وأى شىء سيجعل أهل القرية يحسون به خيرا من هذا الحصان . . الحصان جاء . . الحصان ذهب . . ليس فى القرية من يملك حصانا . . ولكنهم لن يقولوا يسرى جاء أو ذهب . . الحصان فقط . لا بأس أيضا . . يكفى أن يذكرهم الحصان به .

ـ ولكن هذا الحصان مخيف . . ألا تراه لا يكف عن الحركة العنيفة ؟

ـ هذا دليل الحيوية .

ـ الكثير منها يقتل .

ـ أنت صاحبه . . اخدمه يخدمك .

ـ ولكن لماذا تريد أن تبيعه ؟

ـ أهو تحقيق . ؟

ـ لعلك سرقته .

ـ وافرض .

ـ قد يراه صاحبه فأخسره .

ـ اسمع . الأمر المؤكد أن صاحبه لن يحاول أن يسترده .

ـ إذن فأنت صاحبه .

ـ هأنذا . . أركبه أمامك وأعرضه عليك ، ولا وقت عندى للكلام الكثير ، أتشترى أم أمشى ؟

ـ كم تريد فيه ؟

واشترى يسرى الحصان وحاول أن يركبه ، فنفضه الحصان نفضة عنيفة إلى الأرض أحس معها أن عظامه تنسحق ، فسحب الحصان

ومشى يتكفأ حتى بلغ منزله فى عتمة من الليل ، وأدخل الحصان إلى حجرة نومه الخاصة . وذهب إلى حيث السكر فأحضر جميع ما فى البيت منه .

وبعد اسبوع أستطاع أن يركب الحصان بعد أن أنس إليه .

وفعلا بدأت القرية تتكلم عن الحصان ، ولكنها — كما توقع يسرى — لم تتكلم عن يسرى .

كان يسرى يربط الحصان فى الغيط مع جاموسته ويذهب إلى ما يبتغى من أعمال . وبينما هو جالس فى بيته . . إذا بشخص يعدو إليه .

— يسرى .

— نعم .

— حصانك قتل عبد السميع .

— ماذا ؟

حاول عبد السميع أن يركبه فجرى حتى ألقاه فى الترعة وأغرقه .

وأصبحت الحكاية أحدوثة فى القرية لفترة طويلة ، ويسرى سعيد كل السعادة بموت عبد السميع الذى جعل الناس يتحدثون عن حصانه كل هذا الحديث .

فإن الحادث فى القرية شىء عظيم . فهو ريح شديدة العصف تمر على الماء الراكد من أثر الملالة . فالناس لا يجدون فى القرية ما يتحدثون عنه فإذا مر بحياتهم حدث كهذا أصبح تاريخا يعتبر الذين عاصروه خالدين فى حياة القرية وتاريخها .

ولكن حصان يسرى لم يترك لهم فرصة طويلة يلوكون فيها حادث القتل الذى ارتكبه . بل هو يعاجلهم .

- يسرى .

- نعم .

- حصانك .

- ماله ؟

- فقأ عين عبد الشافى بن سعيد أبو عرابى .

- ماذا ؟

وفى هذه المرة يذهب سعيد إلى يسرى ويمسك بخناقه . مقسما بأغلظ الأيمان بأنه قاتل الحصان أو قاتل يسرى . . ويتجمع الناس ويحولون بين سعيد ويسرى وتبدأ المفاوضات . ويسرى سعيد فقد أحس الناس به هو أخيرا . وهاهم أولاء يجتمعون حوله ويفاوضونه ويفاوضهم .

وتتوالى أحداث الحصان . فهو يقطع حبله ويعتدى على براسيم الآخرين . وهو ينطلق فى القرية فى جنون أحمق يكسر أرجل الناس أو أبوابهم . أو يوقع ما يعرشون به على بهائمهم . أو هو يعتدى على هذه البهائم فيجعل أصحابها يعودون بها إلى السكن . ولعل أشد ما آلم الناس من الحصان وصاحبه ما فعله الحصان بالمصلى التى أقامها أجداد أجدادهم هناك عند مجرى النيل . فقد دخلها الحصان فهدم قواعدها ومزق الحصير فيها . ولعل هذا الحادث بالذات هو أسعد ما سعد به يسرى حتى لقد أغدق فى مساء هذا الحادث على حصانه من السكر قدراً لم يشهده الحصان من قبل .

أصبح يسرى هو شغل القرية الشاغل ، وأصبح الناس يبتعدون عن مكان الحصان قدر جهدهم . وألقى الحصان على القرية ظلا من الرعب ثقيلا . وليس أفتك بالإنسان من الخوف ، ولا يزرى بالإنسان شىء قدر شعوره أن الذعر والهلع يحيط به من كل جانب . وما أشد الهول حين يكون العدو حيوانا أعجم لا يعقل ولا يفهم ، وإنما يخرب لوجه الخراب بلا هدف ولا فكرة ولا غاية ينتهى إليها ، ويسرى سعيد . فليمت الناس من الخوف أو من الغضب فلقد أصبح هو شيئا يذكر ، ومقصدا يسعى إليه .

وفى يوم صحا يسرى من نومه وذهب مسرعا إلى حصانه . . مجده وعزه وأمله الذى تحقق ، وذكره الذى ذاع واسمه الذى انتشر . ماذا . ؟ ما الذى جعل الحصان فى هذا الشكل الذى هو عليه ؟ لا يمكن . . غير معقول . . لقد مات الحصان . . مات . . كيف؟ . . لا يهم . . أمسموما مات ؟ . لا يهم . . هل مات من كثرة السكر ؟ . لا يهم . . لقد مات . . أحس يسرى أن اسمه هو هذا الممدد جسداً من غير روح.. وعما قريب يصبح عدما بلا جسد ولا روح . . لا يمكن . . غير معقول. . إن حصانى لا يموت . . إنه لا يموت . . لا يموت . وفجأة انتفضت فى جسم يسرى المرارة التى اختزنها قبل أن يعرف الحصان ، وانتشر فى جسده الحقد الذى دفنه فيه طوال عهد الحصان ، ووجد نفسه يحمل الحصان الميت ويخرج به من البيت ، محطما باب البيت ، صارخا فى الناس وهو يعدو فى كل متجه . . . إنه لم يمت . إن حصانى لا يموت . . لا يموت . . لا يموت .

وما هى إلا صرخات قليلة . . وخطوات أقل من العدو الأحمق العربيد المجنون حتى انهار يسرى ومن فوقه الحصان يكتم أنفاسه القليلة الباقية .

واختلط الجسدان حتى لا يستطيع أحد أن يستبين أحدهما من الآخر. وقبل أن يدركه أحد تلحق روحه بروح الحصان الذى نفق ، ويتجمع حوله أهل القرية . ولا تلتقى نظرات ولا كلمات . وإنما يشيع أمن إنسانى فارق الإنسان فيهم حينا ثم عاد .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٦
٢٠ ديسمبر ١٩٧٥

لا مسئولية بغير مساءلة

أكتب هذه الكلمات يوم الثلاثاء حتى تستطيع أن تلحق بالمطبعة المستعجلة التى تريد أن تفرغ من العمل قبل إجازة العيد . وقد سمعت فى أثناء الأسبوع أن قرارات سوف تصدر تضم الوزارات التى تعمل فى ميدان واحد فى قطاعات تجمع بينها .

وقد تظهر هذه الكلمة بعد أن تكون هذه القرارات قد أعلنت .

الواقع أن هذه القرارات فى ذاتها خطوة إن لم تؤد إلى ما بعدها تكون غير محققة لما يراد منها .

فإنه من غير المعقول أن يتحمل رئيس الجمهورية وحده مسئولية الحكم فى تفاصيله وفى خطوطه العريضة فى آن معا . ولابد أن تكون هناك جهات تحمل مسئوليتها كاملة . ولكم أرجو أن تختفى من التصريحات الرسمية وغير الرسمية تلك الجملة التى لا يخلو منها بيان « حسب توجيهات السيد الرئيس » .

فإنه ليس من المعقول أن يتفرغ الرجل الذى يحمل مسئولية مستقبل مصر وحاضرها . بل ومسئولية جيل بأكمله لتفصيلات الوزارات ودقائق العمل فى المصالح .

ليس من المعقول أن الرجل الذى كان يفاوض بالأمس فورد وكيسنجر وويلسن والذى وجه المجتمع العالمى إلى الطريق الذى يجب أن يسلكه فى قضية فلسطين وسلكه فعلا . . . والذى يفاوض اليوم ديستان أن ينظر في مشكلة الدقيق واللحم والأتوبيس والتليفون .

إن فرداً واحداً لا يستطيع أن يقوم بهذا . والعقل الذى يعد نفسه للكلام فى خطوط عريضة يصعب عليه ، بل يستحيل أن يفكر فى التفصيلات . على خطورة هذه التفصيلات وأهميتها فى الحياة اليومية للشعب .

وإليكم موضوعا تسمع عنه لا يجوز أن يحل مشكلته رئيس الدولة . بل هو من الوضوح واليسر بحيث يجب أن يحله الوزير المسئول دون حتى أن يقول حسب توجيهات السيد الرئيس .

هل يصدق أحد أن التقارير الرسمية تقول إن بند الدقيق الفاخر يحظى وحده بإعانة رسمية من الدولة قدرها ٣٨ مليون جنيه .

ما الدقيق الفاخر ؟ . . إنه ما يصنع منه الجاتوه والكيك وما إلى ذلك .

ما أهمية ذلك لجموع الشعب ؟ . أليس عجيبا أن تنصرف الدولة اليوم بما ظلت الأجيال تسخر منه حين قالته مارى أنطوانيت عندما شكا إليها الشعب من عدم وجود الخبز فقالت : ولماذا لا يأكل الشعب الجاتوه؟

إن هذه الأصناف من الحلوى ليست ضرورة شعبية . ومن يريد أن ينالها يستطيع أن يدفع من أجلها الثمن الغالى إذا كان لابد له أن يأكلها.

ويحظى اللحم بإعانة قدرها ٨ ملايين جنيه . ولعمرى ماذا يفيد الشعب من هذه الإعانة . . ؟

إن الذين يريدون أن يأكلوا اللحم عليهم أن يتحملوا غلاء ثمنه . لا بأس على الدولة أن تعين على غلاء اللحم فى المواسم وفى عيد الأضحى . أما أن تعين على غلائه بثمانية ملايين جنيه ليتمتع القادرون بأن يصبح اللحم أرخص لهم بقرش أو قرشين أو عشرة قروش فهذا تصرف لا أظن أنه جائز .

واعتقادى أن الأيسر والأقرب للمعقول أن تترك الدولة العلف حرا حتى يستطيع الكثيرون أن يربوا الماشية . فإن احتكار العلف يجعل التربية محصورة فى فئة واحدة ، هى الفئة التى أثرت ثراء فاحشا فى السنوات الماضية ، وما زالت تثرى إلى يومنا هذا .

هذا كله كلام فى التفاصيل لا يجوز أن يرقى إلى رئيس الدولة . فإن الأعباء الملقاة على عاتقه فى كبريات المسائل تحتاج إلى جمع من الرجال لا إلى رجل واحد .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٨
٢٧ ديسمبر ١٩٧٥

الديمقراطية هي الممارسة

عاشت مصر ما يقرب من عشرين عاما وكلمة الحاكم تثير الرعب والهلع في نفوس أبنائها . وكان المصرى يتمنى في خلال هذه السنوات أن يمر اليوم وهو بعيد عن سمع الحكام .

ثم أذن الله لمصر أن تتنفس ، وأصبحت الصحف تطالعنا كل يوم بشكاوى الجماهير وآلامها وآمالها . وأصبحت الصحف تنشر هذه الآلام والآمال . ولكن هل ينتهى دور الصحف عند هذا النشر .

قد يكون هذا مقبولا في دولة لم تتعرض لما تعرضت له مصر طوال السنوات الأليمة الماضية . ولكننا اليوم كمريض طال به المرض ثم وافاه الشفاء فخطواته على الأرض متخلجة مترددة مهتزة .

والديمقراطية ممارسة قبل أن تكون دساتير وقوانين .

فحين نال شعب إنجلترا الديمقراطية في الماجنا كارتا عام ١٢١٥ كان فعلا يمارس الديمقراطية ويريدها أن توضع في إطارها الشرعي .

والحكم عندنا اليوم يناشدنا أن نمارس الديمقراطية معتمدا على أن ما بينه - الحاكم - وبين الشعب هو الحب لا الحقد ، والرغبة في البلوغ إلى الأحسن للشعب جميعا لا للحكام . ومن هنا فدور الصحيفة إذن أن تردم هذه الفجوة التى وجدت بين الحكام وبين الناس لمدة عشرين عاما .

لقد زالت الفجوة النفسية التى كانت تفصل بين الحكام وبين الشعب، وبقى أن تزول الفجوة الحقيقية التى تتمثل فى مصالح الناس من جانب وفى عدم معرفة الحكام بهذه المصالح من جانب آخر . والمفروض أن الحاكم دائما يرغب فى قضاء هذه المصالح بكل الجهد والقدرات المتاحة له .

ودور الصحافة المصرية وهو دور من نوع خاص تفرضه الظروف التى مرت وتمر بها مصر . . هو أن يجمع الحاكم والمحكوم وصاحب السلطان وصاحب المصلحة ، وبهذا تصبح الديمقراطية هى الشعار فعلا حتى إذا صدرت بها التشريعات تكون التشريعات مجرد صياغة قانونية لحالة مستقرة .

يوم يشعر الشعب بذلك لن يخفى الخمسمائة من أصحاب الملايين ملايينهم ، ولن يشعر الفلاح فى غيطه أنه بعيد عن السلطان ، ولن يشعر العامل فى مصنعه أنه مبعد عن حقوقه .

يومذاك يعرف كل مصرى أنه ينال حقه ، ولا يعجب أن يقع عليه الجزاء إن قصر . فلا أمل لنا فى انتعاش إن لم يصحب الجزاء الثواب والعقاب والمكافأة والحق والواجب . فقديما قالوا إن الحق والواجب كوجهى العملة لا يفترقان . فإذا أعطى كل مصرى الحق الذى له صح عنده أن يتحمل الواجب الذى عليه .

صادرين عن هذا الرأى رأت مجلة الإذاعة أن تبدأ بدعوة مواطنين من شعب الدقهلية ليلتقوا بمحافظ إقليمهم يقولون ويسمع .

يطلبون هم ويعد هو . وسيشهد هذا اللقاء مندوب عن المحلة سيكون عمله بعد ذلك أن يخبر الشعب بما أنجزه المحافظ من وعود أو بما لم يستطع أن ينجزه والأسباب التى وقفت به عن هذا الإنجاز ، ونحن نبدأ الديمقراطية من هذا اللقاء . .

إنه خطوة المريض عاد إلى الشفاء ، فإذا سلمت بنا الخطوات وثبتت منا الأقدام أمكننا أن نسير . لأنه لابد أن نسير وسنسير بإذن الله .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٢٩
٣ يناير ١٩٧٦

أخبار . . وتعليق

تقدم بعض أعضاء مجلس الشعب للحكومة بالأسئلة الآتية :

١ ــ أسماء مكاتب الاستيراد والتصدير التى يديرها ويشترك أو يعمل فيها بعض الشباب من أبناء وأصهار بعض القيادات التنفيذية والسياسية . ؟

٢ ــ أسماء ٥٠٠ مليونير مصرى فورا حتى يعرف مجلس الشعب من هم هؤلاء . ؟

٣ ــ أسماء من تقاضوا عملات فى الفترة ما بعد عام ١٩٦٧ . ؟

* * والأسماء فى ذاتها لا تعنينا فى شيء ، سواء كان ذلك فى شأن أقارب الوزراء أم المليونيرات . إنما يعنينا أن يكون قريب الوزير قد استغل هذه القرابة ، أو صاحب المليون قد استغل الشعب .

والحقيقة أن وجود خمسمائة مليونير بعد أن كانوا تسعة فى العهد الرأسمالى أمر لابد معه أن نبحث عن هذا النوع العجيب من الاشتراكية الذى طبق طوال السنوات الماضية .

وأعتقد أن الذى يعنينا ويعنى الشعب هو الطريقة التى وصل بها صاحب المليون فأكثر إلى مليونه فأكثر . ونحن نرى أن يصرف أعضاء المجلس همهم إلى معرفة الأسباب التى أدت إلى هذا الانفجار المليونى .

والقول بأننا محتاجون إلى أصحاب هذه الملايين غير صحيح فلا يجوز للسارق أن يستغل ما سرق بل لابد أن ينزل به العقاب .

أما التجار الذين استغلوا قلة الاستيراد وأثروا فهؤلاء لا ذنب لهم . بل الذنب على نوع الاشتراكية الذى أتاح لهم ذلك . وفى ظل الانفتاح لن يستطيعوا أن يعودوا إلى هذا الاستغلال . فليبحث المجلس إذن عن الموظفين الذين أصبحوا مليونيرات ولا شأن له بغيرهم لأنه لا جناح على غيرهم . . .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٣٠
١٠ يناير ١٩٧٦

سقط الصنم . . ولم تسقط القاعدة

أتصور أنه فى عهد عبادة الأصنام كان هناك فريق من الناس لا عمل له إلا أن يجلس بجوار هبل وغيره من الأصنام ، يرفع عقيرته بمعجزات الصنم وما يناله قصّاده من خير على يديه ، داعيا الناس أن يزيدوا من الأموال التى يقدمونها للتمثال ، مؤكدا أنهم كلما زادوه مالا زادهم خيرا ومعجزات ومنجزات .

وأتصور أنه حين أشرق النور وتهاوى الصنم ، لأن الأصنام لا تعيش فى النور . أتصور أنه بقى من الصنم قاعدة . وهذا الفريق الذى كان يعيش على النصب . والأكاذيب . والادعاء الباطل . والشعار الزائف ، والاحتيال المقيت . ويجد هذا الفريق نفسه بلا مورد يعيش عليه ، ولا ناس يحتال عليهم إلا قلة قليلة لا ترى إلا فى الظلام ، ولا تحيا إلا فى السراديب ، ولا تتنفس إلا العفن ، ولا تأكل إلا لحم البشر ، ولا تشرب إلا الدماء الآدمية .

ويدور فريق الصنم المنهار حول القاعدة المهيضة المحطمة ، يطلقون المباخر ويرفعون العقائر ، ويستجدون النفع الذى زال عنهم . فهذه القاعدة هى كل ما بقى منهم وبغيرها لا حياة لهم ، لأن حياتهم قامت أول ما قامت على هذا البهتان . ولو كانوا يملكون صنعة غير طبولهم

ومزاميرهم التى كانوا يدقونها وينفخونها هتافا للصنم . وأصبحوا يدقونها وينفخون فيها نواحا عليه . لذهبوا إلى صنعتهم تلك ونسوا ما كان من أمر الصنم والقاعدة . ولكن من أين وهم عجزة إلا عن الهتاف. جهلة إلا عن الاحتيال . أغبياء إلا عن السلب والزور والغش والسرقة ؟

ولكل فترة زمن صنم يقيمه الناس من الدماء . ثم لا يلبث الناس أن يتبينوا مقدار ما امتص الصنم من كيانهم . ولهذا فلابد لكل صنم أن يسقط وينهار : ولا بأس أن تبقى القاعدة حينا يلف حولها هذا الفريق من نفاية البشر . ويمر الزمن بالنور فتمحى القاعدة كما امحى الصنم ، وتصبح النفاية عدما من العدم ولا يبقى إلا الإشراق والنور والضياء فإنه يمكث فى الأرض وفى السماء .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٣٥
١٤فبراير ١٩٧٥

. . وفى أى شىء صدق ؟ !

أية غريبة أن يقال ما يقال . ؟ وما المال وقد سرق أمننا . ولص كرامتنا . وامتص دماء أبنائنا . وأهدر على رمال سيناء شرف مصر والعرب وتاريخ أمة ومستقبلها . .

وفى أى شىء صدق حتى يصدق فى ذمته . ؟ !

قال ارفع رأسك يا أخى . وحطم كل رأس فكر فى الارتفاع أو فكر فقط . وأبى أن يجعل أحدا من الناس أخا . بل أرغم الجميع أن يكونوا عبيدا له أوهم أعداء .

قال ديمقراطية : ثم فشا وحده مسعورا ، منفردا بالحكم ، مسئولا وحده عن كل خفقة نفس فى البلاد .

وقال قضينا على الإقطاع ، فإذا بأصحاب الملايين فى عهد الرأسمالية كانوا لا يتجاوزون أصابع اليدين عددا ، فأصبحوا خمسمائة نتيجة لعهده ، ثروة الواحد منهم مهما تبلغ من الضآلة تلتهم ملايين الإقطاع جميعا والإقطاعيين .

وقال ثورة بيضاء ، ثم أهدر دماء الشباب فى حروب اليمن وحربى سيناء من أجل مجده الشخصى ، ومن أجل خراب مصر فى دمائها وما لها وكرامتها .

وأسال الدماء في خسة غادرة مجرمة وراء أسوار السجون والمعتقلات.

قال الشرف وهدد الرجال في عفة زوجاتهم وشرف بناتهم وأخواتهم .

قال تكافؤ الفرص وأغدق الأموال على أبنائه ، حتى لقد كان الواحد منهم يلهو بقيادة طائرة لا يحلم أغلب الشعب أن يركبها مرة في حياته ، وتقدمت ابنة له تفكر في شراء أرض يتجاوز ثمنها مائة وخمسين ألف جنيه ، ولقب ابنه بالمليونير في إذاعة لندن ، وسكب أموال الدولة على إخوته وعلى كلابه من ماسحي أحذيته ، ولاعقي نعاله . فهم ينبحون باسمه حتى اليوم وقد فجعتهم فيه الفاجعة . وزالت من أفواههم دماء الشعب التي أتاح لهم أن يمتصوها . تؤيدهم في نباحهم فئة أخرى اعتدى عليهم في المعتقلات وجعل زوجاتهم بلا موئل لطول حبس الأزواج ولحبس المال عنهم . ومع ذلك ينبحون باسمه مع كلابه النابحة .

لأن الحكم الجديد .

قال الله .

وقال الحرية .

وقال القانون .

ونفذ ما قال وانتصر .

في أي شيء صدق . ؟ !

قال الرجل المناسب في المكان المناسب ثم اختار أهون الناس وجعل منهم رؤساء على العمالقة . ووضع في أغلب المناصب رئيسا جاهلا لأن الجهلاء هم علماء النفاق ، فانهار العمل في الحكومة وفي القطاع

العام ، وحين قال محافظ من علمائه : أعطى القانون إجازة ، رقى إلى وزير لأنه عبر عن شعار الدولة .

في أي شيء صدق . ؟ !

دعا إلى الاشتراكية . وعاش ، وعاش خدمه والمحظوظون من أتباعه عيشة تتضاءل عندها عيشة الفجار من العاهرين في الرأسمالية . فسمعنا عن فواكه تأتي بالطائرات ، وعن سيارات نقل تحمل الفراء والسجاجيد. ويعلن هذا علينا حين يغضب على الفاعل . ويستره علينا حين يترضاه ويضع رأسه تحت قدميه .

ألا إلى غير رجعة يا زمن الهمس والصراخ ، والنوم المفزع ، والقلق الشائع ، والخوف المبيد ، والعرض المباح ، والدم المسفوك ، والشرف الجريح ، والتاريخ الممزق ، والأمل المظلم ، واليوم الكالح ، والغد العبوس، والحق المضاع .

ويقولون اكتموا على السرقات أن تذيع . فإنها ان شاعت أحجمت أموال العالم عن مصر والانفتاح . جهلوا الحقيقة . لن تأتي الأموال وأصحابها يعرفون أن اللصوص هنا تتخفى وراء الاستار تحمل معها التشكيك في أمانة بلادنا . يوم تتكشف الحقائق ويعرف العالم أننا أصبحنا على الطريق القويم . شريفة أيدينا . واثقة نفوسنا . مطمئنا اقتصادنا . يأتي إلينا أصحاب الأموال شرفاء واثقين مطمئنين . والحق دائما بالدول أجدر .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٣٦
٢١ فبراير ١٩٧٦

مصر هذه . . هى التى ستبقى

على ضفاف نهرنا ولدت الحضارة وازدهرت أديان السماء ، وبقيت فى أبناء هذه الضفاف شمخة الماضى ترتفع بهم عن أى حقد . وتسمو بهم عن أى صعاب ، وتمر الأيام وتحاول أن تطحن عزيمتنا فنطحنها نحن بابتسامة على فمنا نلقى بها الحياة ، وكأننا نرى فى وجه الحياة ابتسامة لا تخبو .

ونحن أبناء هذا الوادى لا نبيت إلا وشعاع من التفاؤل ينساب فى نفوسنا . ترى الفتى منا فقيرا مهزولا معدما مهلهل الثياب ولكنه غنى النفس يملأ الدنيا غناء وطربا كأن الدنيا ملك له . بل إن الدنيا كلها لا تعنيه وفيم يعنى بها وهو يعلم أن الآخرة خير له من الأولى وأن سوف يعطيه ربه فيرضى ؟

نرى السعادة فى كل شىء فإن لم نرها صنعناها بنفوسنا من إشراقة شمس . من ندى على وردة . من حنين كروان . من زقزقة عصفور . من اخضرار شجرة . من جمال غصن . من دعاء نخلة مشرئبة إلى السماء . من ظل سحابة فى صيف . من دفء شعاع فى شتاء . من نسمة طيبه فى قيظ ، من لقاء صديق ، من تحية ود ، من غروب شمس . فيه أربح الغيب وفيه وعد بلقاء الغد .

ثم ننام .

وننسى ما كان فى يومنا واثقين أن اليوم القادم خير من اليوم الماضى. وأن الحياة لا تستطيع أن تحمل لنا بين طوايا غيبها إلا الحب لأننا فى أعماق أعماقنا لا نعرف إلا الحب .

إن تكن مرت علينا سنوات بدت فيها منا كشرة أو كراهية للعالم حولنا ، فالسنوات قد مرت و لم يبق إلا الأصيل من طباعنا الذى عبرنا به الأجيال إلى الأجيال .

وسنعبر به الأجيال إلى الأجيال .

بقيت مصر الحب .

مصر الحضارات .

ومصر المنتسبة إلى أديان السماء . .

بقيت مصر هذه . . ومصر هذه هى التى ستبقى .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٣٩
١٣ مارس ١٩٧٦

أنــا أكتــب

هذا القلـم الـذى أضـم أصـابعى عليـه تعـود أن تنضـم عليـه أصـابعى وحدهـا دون أن تتخللهـا أصـابع أخـرى . لا أستتبع إلا ضمـيرى ، ولا أستصفى إلا مشاعرى .

حر هذا القلـم . ولذلـك يعيـش فـى عهـد الحريـة صريحـا لا يرمـز ، واضحا يطلق الكلمة الواضحة بلا خبـىء لهـا يتخفـى وراء الحـدث ، أو وراء الأشخاص .

عاش القلم الذى أضم عليه أناملى فترة طويلـة يرمـز لا يبـين ، يومـئ لا يعلـن . حتـى إذا جـاء العهـد الـذى نعيـش فيـه استبان لفظـه وأعلـن كلمته .

وها هو ذا الاتحاد الذى تنضوى المجلة التى أشرف عليها تحت رئاسـته يعارضننى ، ولكنه يطلق لى الحرية ويعلن رأيه واضح المخالفة لما أرى .

ولكننى مع ذلك لم أنقل ، ولم أرفت ، ولم أصادر .

ذلك لأن اتحاد الإذاعة والتليفزيون جهاز حر ، يعمل فـى ظـل حكـم حر .

ورئيس حر .

بريد الحرية لمصر ، ولأبناء مصر .

لأنه يريد المجد لمصر .

مجلة الإذاعة والتليفزيون
العدد : ٢١٤٠
٢٠ مارس ١٩٧٦

لا حقد اليوم

إن تكن قد وجدت الحقد فى عناصر التركة يا سيدى الرئيس ، فلا جناح عليك فقد محوته .

ليس فى مصر اليوم مصرى حاقد ، لقد استطعت بالحب أن تمحو كل ما كان فى النفوس من حقد . وما يتكلم واحد منا إلا من منابع الحب التى أصفيت ، ومن فيض السماحة التى أغدقت .

لقد عارضتك فى يوم ووقعت على بيان غضبت منه ، وأعلنت غضبك هذا أرفق ما يكون الإعلان . ثم ها أنت ذا تتيح لى أن أجرى قلمى فى حب مصر . ولا يفعل هذا إلا رجل يعرف كيف يمنح الحب ولا حقد مع الحب .

نسينا يا سيدى الرئيس ما كان . وأحببنا أيامنا مهما تكن شديدة لا أمل لنا اليوم إلا حب مصر . . . مصر التى لا تعرف إلا الحب . فى مصر الحب هذه يا سيدى نبتة من غرس النبوات تجعل شعبها ينسى ما يسىء ويذكر ما يسعد .

فى مصر الحب هذه نسمة مباركة من أنفاس الملائكة تجعلنا لا نطيق أن نحمل بين جوانحنا إلا الحب .

اختلف على حكمنا ناس وناس ، واحتلنا المحتلون ومر بنا التاريخ وئيد الخطو شديد المراس . ولكن ناس مصر لم يبق فى نفوسهم إلا الحب فإن عراهم الحقد فترة فما هى إلا هنيهة فى عمر الزمن ثم إلى الحب نعود .

إن تكن التركة المثقلة قد شملت الحقد فيما شملت .

فقد كان فيها أيضا الهزيمة وجعلتها نصراً .

وكان فيها - كما قلت - العائلة العربية الممزقة فجمعت بددها ورأبت صدعها ورتقت فتقها .

وكان فيها عالم يكرهنا من شرق وغرب فأرغمته على احترامنا ، ثم أحس بالحب عندك فإذا هو يحبنا .

أما الحقد يا سيدى الرئيس فقد زال يوم أقفلت المعتقلات وأطلقت السجناء ، وأرسلت الكلمة حرة نظيفة تمرح مرتاشة الجناح فى سماء مصر الخالدة .

سيدى الرئيس هناك بيت قديم لعزيز أباظة أحب أن أهديه إليك :

بك الدهر كفر عن ذنبه وألقى مقاليده واعتذر

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٤٨
٣٠ أبريل ١٩٧٦

إن الكرام بحفظ العهد تمتحن

لا يستطيع أدب أن يعيش إذا قامت فروع له من جذور بعيدة عن تراثه . وكل أدب فى العالم يعيش فى ظل التراث الذى ينتسب إليه .

فالأدب الإنجليزى ما زال يعتبر رواده الأوائل هم الآباء الشرعيين لفنون أدبهم الحديث على الرغم من أن المسرح والرواية والقصة فروع قديمة أصيلة فى الأدب الإنجليزى . إلا أن الأدب الإنجليزى مازال يحتفل برواد فنه الأوائل ولا يتعالى عليهم ولا يقطع صلاته بهم .

ولكن الأدب العربى أصابته بآخره كبرياء مزيفة لا تعترف بالتراث ولا بالأصول الأصيلة لأدبنا .

ترى هل يخجل أدباؤنا الشباب من تراثهم أنه كان خلوا من الرواية والقصة القصيرة والمسرحية ؟ وهل يعتبر الشباب الاهتمام بالمتنبى والبحترى وأبى تمام حتى البارودى وشوقى الخالد نوعا من الرجعية والجمود ؟

هل هؤلاء الشعراء وشعرهم يمثلون فكرا متخلفا لا يجوز للنابهين الأذكياء الرافضين لكل أصل قديم أن ينظروا إليه أو يستلهموه أدبهم أو يثروا أسلوبهم بأساليبه ؟

ألا يستطيع هؤلاء القافزون إلى العبقرية من شبيبة الأدباء أن يعرفوا تراثهم ويستفيدوا منه ، ليطوروا أدبهم بعد ذلك ويسيروا به فى الآفاق الواسعة التى يريدون أن يرودوها ؟

وهل هذا الرفض من الشباب وليد دراسة أم وليد جهل أم وليد تسرع للشهرة دون دراسته ؟

زارتنى أديبة إنجليزية منذ أعوام ودعوت شابا من هواة الأدب أن يكون معنا ، فكانت الأديبة الإنجليزية تكلمه عن المتنبى وشوقى وبديع الزمان . . ويكلمها هو عن شكسبير وإليوت وديكنز حتى لم تستطع الأديبة الإنجليزية آخر الأمر أن تتمالك نفسها فقالت له « لك أن تكلمنى عن أدبائى ولكن بشرط أن تكون قد درست أدباء لغتك أولا . فأنا لم أجرؤ على دراسة الأدب العربى إلا بعد أن فرغت من دراسة الأدب الإنجليزى وامتحنت فيه ونلت شهادتى » .

والواقع أن الأدب العربى إن لم يعتمد على تراثه فى كل مناحى فنونه فمصيره أن يذوى ويفنى ويصبح بلا وجود .

فنحن إنما نكتب الأدب العربى للشعب العربى . ويستطيع القارئ فى العراق وسوريا والأردن أن يفهم عنا نحن الكتاب المصريين وأن يدرك المشاعر التى تموج بها نفوسنا وأن ينبض نبضنا ويتنفس الهواء الذى نتنفسه .

أما القارئ الأوروبى فهو بعيد كل البعد عن لغتنا وعن مشاكلنا ، وإذا قرأ عنا فقراءته ستكون قراءة جغرافية أكثر منها قراءة أدبية ، فالأدب مرتبط بلفظه بقدر ما هو مرتبط بمضمونه . ولقد فهمنا نحن الآداب الغربية لأننا منذ الطفولة على صلة بحياة الناس هناك ، ولأنهم هم

رواد الرواية والقصة والمسرحية وكان لابد لأشكالهم الفنية فى هذه المجالات أن تفرض نفسها علينا . أما نحن فإنهم لا يكادون يعرفون عنا شيئا فإذا قرأوا فلينظروا كيف يعيش هؤلاء الناس الذين يسمون عربا .

فالارتماء على أدبهم وطريقة تفكيرهم الأدبية ، والحرص الشديد على تقليد أسلوبهم دون الانتماء إلى تراثنا يجعلنا أشبه بالقرود فى نظرهم وفى نظر قرائنا على السواء .

وإنى لأعجب من الأدباء الشبان حين أسمعهم يقرأون قصصهم فى الإذاعة أو فى الندوات العامة ، فأجدهم لا يكادون يقيمون كلمة عربية صحيحة . وقد اتخذ أغلبهم أسلوب الجمل القصيرة البرقية فى قصصهم فأعفى نفسه من التركيب العربى للجملة ، وهو مع ذلك عاجز عن نطق جملته الأعجمية .

وإنى لأحس فى كثير مما أقرأ من الأدب الحديث أن الأديب من هؤلاء يريد أن يقول شيئا ولكن الكلمة لا تكاد تسعفه ، ويوشك لولا الخجل أن يقولها فى لغة أجنبية . . بل إن بعضهم لا يخجل ويفعلها .

وأنا أعرف أن المدارس المصرية لم تعد تهتم باللغة العربية الاهتمام اللائق باللغة التى نعيش بها . ولكن الأديب الذى يريد أن يصبح أديبا لا يجوز له أن يعتذر بذلك فإن عليه أن يعلم نفسه اللغة التى يريد أن يصبح أديبا من أدبائها ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالدراسة العميقة للتراث العربى من شعر ونثر ، ثم عودا إلى العنوان إن الكرام بحفظ العهد تمتحن . .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٥٣
٥ مايو ١٩٧٦

نحن أقوى من الحياة

ليس فى مصر من لا يعلم أن هناك أزمة جارفة تحيط بنا سواء كان ذلك متمثلا في عدم توازن دخل الفرد مع متطلبات الحياة ، أو كان ذلك فى الخدمات العامة . ومن المضحك المبكى أن تقدم الجرائد كل يوم دليلا على ذلك كأن الأمر مازال يحتاج إلى دليل . ومثل ذلك يقبل إذا كان المسئولون لا يعرفون ذلك ويحتاجون إلى من ينبههم إليه . ولكن الشواهد جميعها تدل على أن المسئولين أكثر علما منا نحن أفراد الشعب بهذا الانهيار الذى نعانيه . ولذلك كان صديقى محقا حين سألنى : اكتبوا لنا ماذا علينا نحن أفراد الشعب أن نعمل ، ولا عليكم من الماضى فقد عرفنا ما كان فيه . ولا عليكم أيضا من هذه المتاعب اليومية التى نعانيها فى الرزق أو فى الخدمات العامة ، فكل فرد منا أدرى بأزمته من الآخرين . إنما وظيفتكم الآن أن ترشدوا الناس كيف يواجهون حياتهم اليومية تلك .

هو محق فى هذا الطلب ، لأن الناس تعودوا أن يطلبوا النصح ليسخروا من الناصح . أو ليعملوا عكس نصيحته .

إن كل فرد فى الشعب المصرى يعرف كيف يواجه يومه ، وهو لا يحتاج فى ذلك إلى نصيح أو مرشد ، وأكثر ما يثير ضحكى وألمى معاً كلمة التوعية العامة التى أصبحت منتشرة الآن بشكل يدل على الجهل

الفاضح بنفوس الناس . ولأضرب بذلك مثلا من هذه الإعلانات الساذجة التى تدعو إلى تحديد النسل . كأن الناس يعرفون أنه كلما جاء لهم طفل جديد فتحت لهم أبواب جديدة من الإنفاق . وكم أتمنى أن أعرف إحصاء عما أحرزته هذه الجماعات وهذه التوعية من نجاح فى تحديد النسل . وإنى واثق من النتيجة .

إن الناس لا تحتاج إلى من يرشدهم كيف يتغلبون على الأزمة ، ويكفيك أن تلقى نظرة على الوجوه . إنها لا تعبر مطلقا عن مقدار الأزمة التى تعانيها . يبدو أن فى داخل كل فرد منا جهازاً يجعل الإنسان يتكيف مع واقعه ويخلق للأشخاص أبوابا من الأمل ولو كانت وهمية ، إلا أنها قادرة على جعله يتقبل الحياة كما تدور به الحياة .

والمثل العامى المعروف يومئ إليك إلى أى مدى يستطيع المصرى أن يسعد من داخله مهما تكن الظروف المحيطة به : « كل موال ينزه صاحبه » . لكل مصرى موال ينشده أو تتغنى به نفسه ، فيرتد إليها هدوؤها وتشيع فيها الطمأنينة ويتسرب الأمن إلى حناياها ويحيا الناس .

قد يكون موال بعضنا بسمة طفل ، أو تهريج مهرج فى التلفزيون ، أو حديث سخيف فى الإذاعة ، أو شعور لا معنى له بالصحة والعافية ، أو أى شىء قد لا يخطر على بال أحد أنه يسبب أى سعادة . فالنفس البشرية عجيبة فى قلب الأشياء إلى مصادر للرضى والهناء . إن الشعب المصرى الذى مرت به هذه الظروف الطاحنة أصبح يستطيع أن يصدر إلى العالم أجمع فى شرقه وفى غربه ، فى بؤسه المادى وفى ثرائه الفاحش شيئا لا يملكه هذا العالم الواسع العريض هو السعادة . السعادة التى تنبت وتنمو وتتفرع وتزدهر داخل النفوس بلا تعقيد ولا ثراء ولا مواصلات

هائنة ولا تليفونات صالحة . إنها سعادة بلا معنى ولكن لها مصدر نعرفه نحن المصريين ولا يعرفه غيرنا من شعوب الأرض . إنه الإيمان العميق فى خلايا تاريخنا وفى كل أنحاء نفوسنا . ونعيش ونضحك . ولتدور بنا الحياة حيثما تريد أن تدور فنحن دائما ــ كنا ومازلنا وسنظل ــ أقوى من الحياة .

الأهرام ــ العدد ٣٢٦٥٥
٧ مايو ١٩٧٦

العدالة والقانون . . . وحرية الكاتب

فى ظل حرية الصحافة تختلف النغمات . فيقبل الناس على ما يكتب الكتاب . فإن توحدت النغمة أصبحت طبلا أجوف يملأ الهواء ضجيجا ولا يسمعه أحد . ويصبح الكلام رخيصا ولا يحترمه من يستقبله .

والقلم أمانة ، وويل لكاتب يخون أمانة قلمه . إن أبسط ما ينزل عليه من عقاب أن ينصرف عنه القراء ، ولا كاتب بغير قراء .

وليس كاتبا مصريا من يتغيا غير مصر غاية ، لها حياتنا ولها نموت ، وباسمها نجوب الدنيا شم الأنوف مرفوعى الهامات أباة كراما .

لأننا نحيا نقول رأينا تأييداً أو معارضة . ولمن يقرأ ما نقول أن يحكم عليه وله ــ بطبيعة الحال ــ أن يختلف معنا أو يتفق . فالكاتب لا ينزلف للناس ولا يداهن مشاعرهم وآراءهم أجمعين . وإنما هو يستوحى ضميره فيما يكتب ، وضميره هو الحقيقة الوحيدة التى يستطيع أن يطمئن إليها . وقد يغضب بعض الناس . وقد يرضى بعض آخرون ، ولكن المهم أن يكون الكاتب صادقا مع نفسه ، وحينئذ سيكون صادقا مع الناس . فإذا اختلفوا مع الكاتب فى الرأى فسيظلون على احترامهم له . فإن شعر إنسان ما أن الكاتب اتهمه بما ليس فيه ، فالقانون هناك ينتصف لمن ظلمه قلم الكاتب ويرد إلى المعتدى عليه كرامته أنصع ما تكون لإنها حينئذ ستكون بريئة نقية بحكم القضاء الذى لا يتحيف ولا يطلق الأحكام إلا بعد إعمال الرأى النزيه البعيد عن الغرض والعواطف جميعا .

ولذلك فإنه لا حرية بلا قانون . الحرية بلا قانون فوضى . وفي ظل الفوضى تستطيع أن تعتدى على الآخرين ، ولكن الآخرين أيضا يستطيعون أن يعتدوا على حريتك وعلى كرامتك وعلى مالك وعلى كل ما تقدسه . فالفوضى لا تقدس شيئا ولا تنتهى عند أمد .

والحرية المعتمدة على ركيزة القانون تجعل الكاتب يحس أن أصابعه طليقة حول قلمه ، لا يحيط بها إلا القانون العام الذى يحميه كما يحمى خصومه ، وبغير الحرية لا فن وخاصة في الأدب لأنه مرتبط بالكلمة ، والكلمة لا تتنفس الحياة إن لم تكن حياة حرة طليقة . وهى لن تعيش فى ظل القهر أو الإرهاب . إنها إن ولدت مع قهر أو إرهاب ولدت ميتة لا قيمة لها ولا وجود . والكلمة الميتة قتيل يعلن قاتلها عن جريمته ويشهر بنفسه ليصبح أمام الناس قاتلا محقرا ، لأنه ارتكب جريمته دون أى مبرر من خلق أو شرف ضمير .

والكلمة الحرة إذا تنفست الحياة وعاشت ، ظلت تطن فى آذان الزمان إلى أبد الآبدين . ولهذا كان الطغاة يخشون الكلمة أكثر مما يخشون الجيوش . فحين اجتاح الطغاة العالم حرصوا على إحراق الكتب ، لأن الكتب كانت تخيفهم وترعبهم وهم الذين كانوا يخيفون العالم ويملأونه رعبا ، وكما خافوا الكلمة كانوا يخافون القانون ، لأنهم أمام القانون ليسوا أسماء وإنما هم أشخاص . ولهذا ترسم العدالة معصوبة العينين وإن كانت مبصرة ، فهى ترى الحق وتعطيه لصاحبه ولا يعنيها من يكون ومع العدالة والقانون تعيش الحرية دائما فى وئام .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٥٦
١١ مايو ١٩٧٦

من مفكرة : ثروت أباظة
« كن مصريا واعتنق ما شئت »

نشأت فكرة العقد الاجتماعى عند روسو . والفكرة فى مجملها تقول إن هناك عقداً غير مكتوب بين الفرد والدولة ، ويتنازل فيه الفرد عن جزء من حقوقه لتضمن له الدولة الحقوق الأخرى ، فهو يقدم لها ضريبة الدم متمثلة فى الخدمة العسكرية الإجبارية لتحفظ عليه دماءه ودماء من يعولهم ، ويقدم ضريبة المال لتحفظ له الدولة بقية ماله ، ويقدم ضريبة الحرية بإطاعة قوانين الدولة لتحفظ له الدولة حريته . وبناء عليه يكون الفرد حاملا عبء المجتمع كله مقابل ما يسبغه عليه المجتمع من أمن وحرية . ويقول رجال القانون إن الحق والواجب كوجهى العملة لا يفترقان .

فليست الدولة إذن مكاناً مباحاً يقيم فيه من لا يطيع قوانينه ولا يرعى حرمانه ولا ينظر إلى صوالحه . إنه مكان تتعلق به حياة الإنسان الذى يؤدى له ما عليه من واجبات . فإن خان هذه الواجبات سقطت حقوقه، وجاز للدولة أن ترفضه فرداً من أفرادها وجاز لها أيضاً أن تحجب عنه الجنسية وتتركه هائماً فى العالم بلا وطن . وفى داخل الدولة تختلف الآراء ، ويجب أن تختلف . لكل إنسان فى الوطن أن يختار المذهب الذى

يعتقد أنه يحقق أكبر فائدة لبني وطنه . ولكن هذا الاختيار لابد أن يكون منبعثاً من حبه لوطنه ، وهادفاً إلى مصلحة أبناء هذا الوطن .

أما إذا تلقى الفرد مذهبه من دولة أخرى أيا تكون هذه الدولة ؟ وإذا اعتنق مذهبه هذا لا لشيء إلا لأن دولة ما تريد له أن يعتنقه ، فحينئذ يصبح هذا الفرد غير مصرى وتسقط حقوقه جميعاً . فنحن حين نؤدى للدولة ضريبة الدم والمال والحرية ؟ إنما نعبر بذلك عن إخلاصنا للوطن تعبيراً مجسماً . لأن الإخلاص للوطن مفروض فى كل مواطن ، لا يمحى عنه إلا حين يبدو من المواطن غير ذلك .

وبعض المواطنين ينتهزون فرصة الحرية ويلقون أسماعهم وربما أيديهم إلى بلاد أخرى . هؤلاء ليسوا مصريين . وهم أشد خطراً على المصريين من الأعداء الصرحاء . فالعدو الصريح تعرفه وتستطيع أن تتقيه وتستطيع أن تهزمه .

أما المصرى الذى يعيش فى نسيج الشعب المصرى وينتمى بمشاعره وولائه إلى غير شعب مصر ، فلا سبيل إلى اتقائه فهو عدو يتخفى فى دماء المصريين ، وحين يكشف أمره يكون قد خرب ما خرب ودمر ما دمر .

كن مصرياً واعتنق من المبادئ والمذاهب ما شئت . واجهر برأيك ولكن فقط اجعل رأيك ينبع من أعماق قلبك المصرى ومن إخلاصك لوطنك لا لشيء آخر ، مذهباً كان هذا الشيء أو دولة أو فرداً .

الليل ومحطة القذافى

حين يخلو بك الليل قد لا تجد ما تفعله إلا أن تعبث بمؤشر الراديو ، وفى الظلام لا يرى المؤشر طريقه وقد يقف حيث لا يريد . فلم يكن غريباً أن أجد محطة القذافى تطل من الراديو .

عجيب أمر هذا القذافى فهو ديكتاتور كأوضح ما تكون صورة الدكتاتور . يستأثر بالحكم وحده بلا نصيح ولا مشير . ويقذف الرعب فى قلوب الأحرار من بنى وطنه . وهو بحكمه المتشنج يرغم أهل الرأى والكفاءة أن يتركوا البلاد إلى غير رجعة . وهو لا يسكت عنهم فى البلاد التى لجأوا إليها . يخاف أن يكشفوا من أمره ما يريد أن يستره فيتعقبهم بقابض الأرواح والأموال . ويدبر مع القتلة المحترفين مؤامراته فى اغتيال للزعماء الذين يكرمون أنفسهم عن إطلاق الشعارات الكاذبة ورفع اللافتات الخادعة والذين لا يبرح بهم الشوق العارم إلى الزعامة العربية .

ولا شك أن المال الذى يجرى بين يديه يجعله يتصور أنه بماله لابد له أن يكون زعيم العرب أجمعين . فأمثاله من الزعماء الشغوفين بحب العظمة لا يفكرون فى خير بلادهم وإنما يفكرون فى أمجادهم الشخصية ولتذهب بلادهم إلى الجحيم .

وينسى هؤلاء أن المال الذى يدمرون هو مال بلادهم وليس مالهم هم . وإن هذا المال يجب أن يستثمر ليعود على بلادهم بالتقدم والازدهار .

ينسون هذا جميعه أو يقصدون أن ينسوه ليذكروا شيئاً واحداً هو أن يوسعوا رقعة زعامتهم المزعومة ، مهما يحل ببلادهم من دمار .

وفى سبيل هذا تسفك الدماء وتنهار الدول ، وتستشرى الفتن وتحطم الوحدة ، ويهدم الكيان العربى الذى التأم شمله وارتأب صدعه فى حرب رمضان .

ويزداد القذافى غضبا حين ينتصر الزعماء الآخرون بالعمل لا بالألفاظ ، وبالحرب لا بالهتاف ، وبالدم لا بالصراخ .

ولذلك فمصر تنال من أذيه واهتمامه أوفى نصيب ، فهى أشد الدول إثارة لمكنون صدره لا لشىء إلا لأنها انتصرت .

كان يجب عليها أن تنهزم حتى يرضى القذافى وأعوانه والمتحدثون بآماله وأمواله ، والراكبون حصانه بعد أن نفقت من تحتهم الأحصنة الأخرى . فهم يعجزون أن يسيروا فى زحام الناس إلا بخيل الآخرين ، فإن عزت الخيل فلا بأس بالحمير يتوكأون عليها ويهتفون بنهيقها ، وقديماً قال الحكيم العربى « الذليل بغير قيد متقيد ، كالكلب إذا لم يسد بحث عن سيد » .

* * *

الخبرة والإدارة :

صديقى رجل عالم تخرج فى كلية العلوم وكان فيها من النابهين ، فأبى أن يقف به العلم عند شهادة التخرج فأخذ سمته إلى إنجلترا وظل بها حتى حصل على الدكتوراه فى صناعة الأقمشة . وعاد إلى القاهرة .

إلى هنا وإخالكم ستكملون أنتم القصة وتقولون أى جديد فيما سنروى ؟ لابد أنه عاد ليجد نفسه معيناً بمصنع للسيارات ، أو فى الإدارة القانونية لإحدى المصالح الحكومية أو الشركات .

والعجيب أننى سأخلف ظنكم ، فإن صاحبى قد عاد ووجد مكاناً فى شركة من شركات النسيج ، وعين خبيراً فنياً فيما تخصص فيه . وقد شاء الحظ أن يقف إلى جانبه مرة أخرى فوجد رئيس الشركة زميلا له رافقه فى المدرسة الثانوية ، ثم انشعبت بهم الطرق فدرس صاحبى فى كلية العلوم ودرس زميله فى كلية الآداب قسم تاريخ .

طبعا اندهش صاحبى حين وجد شركة النسيج تضع على رأسها متخرجاً فى كلية الآداب قسم تاريخ . فهو فيما تعلم فى القاهرة أو إنجلترا لم يدرس أن هناك صلة ما بين التاريخ وصناعة الأقمشة . ويقول لى : حتى إذا كان هناك تاريخ لصناعة النسيج ، فأنا أعتقد أنه ليس ضمن برنامج كلية الآداب قسم تاريخ ، فما أعتقد أن قسم التاريخ يدرس تاريخ الصناعات وإنما يدرس تاريخ الدول . المهم أن فرحتى بوجود زميلى جعلتنى أتغاضى عن هذا التناقض ، وفرحتى بعملى جعلتنى أنصرف إليه بكل خبرتى .

بدأت عملى وإذا بصديقى ورئيسى يريد أن يتدخل فى أدق خصائص عملى ، ودهشت أول الأمر .

نعم هو أنيق . وهو لا شك ذو خبرة واسعة فى اختيار لون القماش الذى يفصل منه حلته ، واختيار لون القميص الذى يتماشى مع هذه الحلة ، ثم هو ذو خبرة فائقة فى اختيار الكرافتة التى تواكب الحلة والقميص جميعاً . ولكنه من المؤكد لا يستطيع أن يعرف مم صنعت الحلة أو القميص أو الكرافتة .

ولا تقل لى أى عجيبة أن يتدخل رئيس فى أعمال شركته ، فهو يعلم كما نعلم ـ وإن ظن أننا لا نعلم ـ إنه وصل إلى منصبه هذا بوسائل

بعيدة كل البعد عن إتقان صناعة النسيج وهو يعلم ـ ويظننا لا نعلم ـ أنه عين أول ما عين بهذه الشركة لأسباب لا تتصل مطلقا بخبرته فى النسيج وإن كانت وثيقة الصلة بخبرات أخرى يستطيع كثير من الناس أن يتقنوها ويعف كثير آخرون أن يتخذوها وسيلة فى الحياة .

فصديقى خبير من أكبر خبراء فن النفاق ، وهو فى نفاقه يستغنى تماماً عن الحياء . و لم يكن عجيباً أن يجد آذانا تصغى لنفاقه لأن هذه الآذان نفسها كانت معينة فى مناصب وصلت إليها بخبرة النفاق وامتهان الكرامة ، ولا صلة لها بإتقان العمل أو الخبرة فيه .

وأرى فى عينيك سؤالا وأى عجيبة فيما تروى ؟ ..نعم أنا أحس أنك تسخر منى فى نفسك قائلا : لقد غاب الفتى فترة خارج البلاد وعاد إليها لا يدرى من أمرها أمرا . هون عليك ولا تعجل بالتذاكى والتحليل.

كل هذا الذى رويت ليس عجيباً . ولكن كان من المنتظر أن يعرف صديقى حقيقة خبرته ويترك الأمور تسير فى شركته بخبرة الآخرين وذكائه هو . فلا يتعرض لما لا يفهم حتى لا ينكشف أمام أهل الخبرة ، وهذا يتمشى تماماً مع بعض الذكاء الذى يجب أن يتوفر عند المنافقين .

وأحس رئيسى ما يدور فى نفسى من سخرية بجهله ، فزاد على جهله التعالى والتعاظم مصراً أن يذكرنى دائما أنه رئيسى وأننى مرؤوس ، فسكرتيرته تمنعنى من الدخول ، وحين أحتال على ذلك وأطلبه بالتليفون تأبى أن توصلنى به ، مدعية أنه مشغول بوفد أو اجتماع ، أو بما شئت من هذه الحجج التى لا تتقن السكرتيرات غيرها مع الابتسامة الإكليشيه الباردة ، فإن رجوتها أن يطلبنى حين يفرغ من وفده أو اجتماعه أو ما

شاءت أن تختلقه له من معاذير ، وعدت فى أدب مصطنع ثم لا طلب . والعمل يحتاج إلى التشاور ولكن كرامة العالم تحول دون ذلك .

وأنا فى حيرة .

وانصرف صاحبى بعد أن ألقى إلى بحيرته . وتسالنى أنت أيها القارئ ما اسم الشركة وما اسم الرئيس . لا إله إلا الله . أتريدنى أن أصرح لك بكل شيء . ألا تعرف الأدب الرمزى أيها القارئ . لاشك أنك تعرفه فقد مرنت عليه سنوات طوالا . وما عليك لو أنك وضعت كلامى هذا فى إطار الأدب الرمزى . فإنك بذلك تستطيع أن تطبقه على من شئت..

ثروت أباظة

الأهرام ــ العدد ٣٢٦٦٢
١٤ مايو ١٩٧٦

التعليم مسئولية الدولة
والثقافة مسئولية الفرد

كان لى قريب شاعر هو المرحوم توفيق عوضى أباظة ، ولعله من أرق من عرفت من الشعراء . أذكر له شعرا كثيرا . فهو يقول مثلا لصديق له يذاكره أيام أنس عاشاها معا :

وعلى اقتراحك قد نزلت　　وقد نزلت على اقتراحى
فتمازجت أرواحنا　　كالراح والماء القراح

وقد أهدى إليه مرة عمامة . فهو يقول لمن أهداها له :

توجت رأسى بالعمامة　　وكسوتنى حلل الكرامة
فكأننى شيخ المراغة　　فى المهابة والفخامة

وكان قريبى هذا فلاحا يعمل بالفأس . فهو يرسل برقية إلى أبى يقول فيها :

قل للوزير الألمعى مقالة　　مشبوبة كذكائه المتوقد
الفأس قد أكلت يدى وأنا امرؤ　　للطرس لا للفأس قد خلقت يدى

قريبي هـذا لم يدخل أى مدرسة وإنما علم نفسه ثم ثقف نفسه بنفسه . وكان خطه جميلا ولكنه كان بطيئا فى الكتابة بشكل ملحوظ لأن يده أصيبت بكسر في بواكير طفولته ، ولكن هذا البطء فى الكتابة لم يمنعه أن ينقل ديوان المتنبى جميعا لأنه لا يقوى على شرائه . لقد كان مولعا بالشعر فلم يقف شيء فى طريقه .

وأخونا الأستاذ أمين يوسف غراب لم يختلف إلى مدرسة قط وإنما علم نفسه ، وقرأ قراءة واسعة فى القصص العربى والأجنبى المترجم ، حتى استطاع أن يصنع هذا الاسم الذى حققه واستطاع أن يترك بصمات على القصة القصيرة فى مصر .

واذا ألقينا نظرنا إلى أدباء العالم القدامى منهم والمحدثين ، وجدنا أن الغالبية الكاثرة منهم لم تتلق من التعليم أكثر مما تلقاه رفاق جيلهم ، ولكنهم هم ثقفوا أنفسهم واستطاعوا أن يكونوا عمالقة فى فنونهم وآدابهم .

فالواقع أن الثقافة مسئولية الفرد وليست مسئولية الدولة . فعلى الدولة يقع عبء التعليم . ولكن التثقيف واجب الراغب فيه . وهو حين يريد ذلك لا يقف شيء فى سبيله .

تستطيع الدولة أن تقرب مناهل الثقافة للراغبين . ولكن الفرد وحده هو من يثقف نفسه ، وعليه أن يسعى إلى الثقافة فى مظانها جميعا .

وليس الأمر بعسير . فحتى الفقير المعدم يستطيع أن يختلف إلى المكتبات العامة المصرية وغير المصرية ، ويصيب من الثقافة المتاحة له ما يطيب له أن يصيب .

والدعوى بأن المكتبات ليست كاملة لا تصلح اعتذاراً له ، فإنه لن يقرأ جميع ما فى المكتبة حتى يتبين أوجه النقص فيها .

ولكن هذا الحديث لا ينفى مسئولية الدولة نفيا تاما .

فأنا أذكر أننا حين كنا طلبة فى المدارس الثانوية كانت مكتبات المدارس حافلة بالكتب . وأذكر أننى قرأت من مكتبة المدرسة تيمور جميعه وبعض كتب توفيق الحكيم التى كانت نافدة من السوق وغير هذين . فقد كانت كتب جميع الأدباء الكبار فى المكتبة ، بل كان بها أيضا الكثير من كتب النشء الحديث فى ذلك الحين . وكانت كتب التراث جميعا فى مكتبات المدارس ، وأذكر مثلا أننى قرأت العمدة لابن رشيق من مكتبة المدرسة ، وقرأت منها أيضا كتب المنفلوطى . وأنا لا أستطيع أن أتصور أن المدارس اليوم تخلو تماما من المكتبات ، وأن الميزانية المدرجة لها لشراء كتب تستنفد فى أشياء أخرى لا شك أنها أقل أهمية من إتاحة الثقافة للطلبة . وهكذا أصبح من الطبيعى أن يعرف الطلبة كتابهم من خلال أعمالهم فى السينما والتليفزيون والراديو ، دون أن يقرأوا هذه الأعمال فى كتبها الأصلية .

ثروت أباظة

الأهرام ــ العدد ٣٢٦٦٦
١٨ مايو سنة ١٩٧٦

« الصوت المرتفع والتليفون والفن »
من مفكرة : ثروت أباظة

تعود أبناء الريف أن يرفعوا صوتهم إلى أعلى الدرجات حين يتكلمون فى التليفون . ولا شك أن هذه العادة قد لازمتهم من أيام تليفونات المركز المتصلة بالعمدة . وهى ــ بالمناسبة ــ مازالت موجودة حتى اليوم . وكان الخفير لا يكاد يسمع محدثه حتى كان يرفع عقيرته إلى القمة . وأغلب الأمر أنه كان حين تنتهى المكالمة يرتمى إلى أقرب مقعد أو مصطبة مقطوع الأنفاس وكأنه جرى مائة كيلو بغير توقف .

وكان المرحوم أحمد عبد الغفار « باشا » فلاحاً لم تتخل عنه أخلاق الفلاحين ولا عاداتهم ، رغم تعلمه فى أكسفورد ورغم كرسى الوزارة الذى تبوأه .

وفى يوم كان أحد الزوار يجلس عند سكرتيره فى الوزارة ، وكان صوت الوزير عالياً جداً حتى كان الزائر يسمع كل كلمة يقولها صارخة فى أذنه . وأحس السكرتير بحرج فنظر إلى الزائر وكأنه يعتذر :

ــ أصل الباشا بيكلم تلا .

فرد الضيف بسرعة ذكية :

ــ ولماذا لا يكلم الباشا تلا عن طريق التليفون ؟

هذا الصوت المرتفع نلتقى به كثيراً فى الأعمال الأدبيـة ، وهـو عيـب أجمع النقاد على أنه ينال من العمل الفنى ويغض من قيمته .

فالعمل الفنى بطبيعته همسة تتسلل فى ذكاء شديد ولباقة إلى أبعد أغـوار النفس الإنسانية ، وترسى فيها ما يشاء أن يرسيه الكاتب من معان .

والصوت المرتفع لغة المقال ، وليـس لغـة العمـل الفنـى . فحـين يعلـو صوت الفنان فى عمل أدبى ينقل عمله مـن قصـة أو روايـة إلى مقالـة أم خطبة .

ولكننا مع ذلك نجد أعمالا كثيرة لأدباء يرتفع فيها صوتهم إلى درجة الإزعاج ، وتسقط هذه الأعمال وتمنى بالفشل . والكتاب الذيـن ترتفـع أصواتهم غالبا ما تكون كتاباتهم بتوجيهات صادرة إليهم ، فيرتفع منهـم الصوت ليسمعوا من أصدر التعليمات . لأن هؤلاء المصدرين للتوصيـات لا يحسنون أن يسـمعوا الفـن ، فصلتهـم بـالفن مقطوعـة وإلا فكيـف يصدرون الأوامر إلى الفنانين .

الشعر وحده هو الذى نستطيع أن نسمح لـه باللغـة المباشـرة والنغمـة العالية . لأن الشعر العربـى يعتمـد فـى تراثـه على المـدح والـذم والغـزل والهجاء وغير ذلـك مـن أبـواب الشـعر المعروفـة . فحـين يـأتى الشـعراء المحدثون ويسيرون على نفس النهج الذى سار عليه الأوائـل ، فـلا جنـاح عليهم . بل إننا قبلنا هذه النغمة المباشـرة فـى المسـرحيات الشـعرية التـى قدمها شوقى ومن بعده عزيز أباظة . فحين يقول :

اسمع الشعب ديون كيف يوحون إليه
ملأ الجو هتافا بحياتى قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه

يالـــــه مـــــن ببغـــــاء   عقلـــــه فـــــى أذنيـــــه

يقبل الناس منه هذا الكلام ويرددونه من بعده إلى اليوم . وحين يقول عزيز أباظة فى العباسة :

شـعور الشـعب يـا جعفـرُ   حـنق لا هـوى فيـه
يحـس الكـره والبغـض   فيجريـه علـى فيـه
يميـز بوحـى فطرتـه   عـداه مـن محبيـه
لـه مـن وعيـه السـاذج   مصبـاح فيهديـه

نقبل منه هذا الكلام ونردده من ورائه .

وحين يرتفع صوت الشرقاوى فى رواياته ، يقبل منه الناس هذا الصوت المرتفع فى مسرحياته الفتى مهران ووطنى عكا والنسر الأحمر وغيرها . وينظرون إلى مسرحه فى تقدير .

والواقع أن الشعر الحديث فى المسرحية يقع فى المكان الذى خلق له ، لأنه يضفى على الحوار نوعا من الموسيقى والجرس مع تحرير الشاعر من القافية ، وإطلاق يديه فى تنويع الحوار والسير به إلى حيث تبتغى المشاهد والمواقف .

ولهذا لم يكن عجيبا أن تنجح مسرحيات الشرقاوى ، ويتخلج الشعر الحديث على الطريق ولا يستطيع أن يبلغ من نفوس الناس ما بلغه الشعر.

وعوداً إلى الصوت المرتفع . أعتقد أن القراء أنفسهم يحبون فى العمل الفنى أن يصلوا إلى خوافى معانيه بشىء من الجهد يبذلون مع الكاتب ، حتى إذا أغناهم الكاتب الروائى أو القاص عن هذا الجهد انصرفوا عن

العمل جميعا فى غير احتفاء ولا تقدير .

* شوقى وحافظ وطه حسين :

خطب رئيس وزراء إنجلترا فى مرة فقال : إن إنجلترا لا تشرف بشىء قدر شرفها بأن منها شكسبير ، وكانت إنجلترا فى ذلك الحين الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس . لم تعتز بعسكرها ولا بهذه الإمبراطورية التى تدور مع الشمس حيث تدور دائما ، وإنما اعتزت ببضع كلمات قالها شاعر اسمه شكسبير . وقد كان رئيس الوزراء هذا صادقا فى نظرته فقد صفيت الإمبراطورية وغابت عنها الشمس فى أغلب أوقات النهار . وغابت شمسها هى أيضا وأصبحت دولة من الدرجة الثانية ، تعانى الفقر والأزمات المالية والسياسية جميعا .

وشاء اللّه لمصر أن يشرق فيها شاعر لقبه شعراء العالم العربى بأمير الشعراء ، وهو أميرهم لقبوه أو لم ، واجتاح شعره بلدان العربية وكان يعرف ذلك عن نفسه وهو يقول :

وحولى فتية غر صباح ... لهم فى الفضل آيات وسبق
على لهواتهم شعراء لسن ... وفى أعطافهم خطباء شدق
رواة قصائدى فاعجب لشعر ... بكل محلة يرويه خلق

وكان يعرف ذلك وهو يشكر الذين نصبوه أميراً للشعر حين يقول :

رب جار تلفتت مصر تو ... ليه سؤال الكريم عن جيرانه
بعثتنى معزيا بمآقى ... وطنى أو مهنئا بلسانه
كان شعرى الغناء فى فرح الشر ... ق وكان العزاء فى أحزانه

وحدث أن كان الدكتور طه حسين يبدأ حياته الأدبية ، وقد حلا له أن يهدم شوقى . وكتب المقالات فى مهاجمته ، وطبعا لم يهدم شوقى .

وحاول العقاد والمازنى نفس المحاولة ، وبقى شوقى . ووقف المازنى فى ذكرى حافظ إبراهيم يقول لقد حاولنا أن نهدم شوقى وحافظ لنقف على أنقاضهما فلم ننل إلا من الحق ومن أنفسنا .

وفى يوم كنت جالسا مع أستاذنا العملاق طه حسين وسألته :

ـ لماذا هاجمت شوقى وأنت أعظم من يعرف فضله ؟

قال : لقد هاجمته فى أشياء لا تتصل بالشعر . وإنما لأنه كان ينسب آراء أرسطو إلى أفلاطون .

وكأنما رأى العملاق ظل ابتسامة على وجهى فهو يكمل حديثه قائلا:

ـ وعلى كل حال أنا ما أسفت على شىء كتبته قدر أسفى على مقالات الهجوم .

وأفاجأ بوزارة التربية والتعليم تقرر على الطلبة فى العام الماضى كتاب أستاذنا طه حسين « شوقى وحافظ » وهى بهذا تقدم لتلاميذها عميد الشعر العربى وعميد النثر العربى وشاعراً من أكبر الشعراء الذين أنجبتهم مصر أسوأ تقديم .

فطه حسين صاحب الكتب الباذخة فى الأدب والرواية لم تجد له وزارة المعارف كتاباً تقدمه له إلا هذا الكتاب الذى كثيرا ما اعتذر عنه .

وشوقى الخالد لم تجد وزارة التربية وسيلة تقدمه بها إلى تلاميذها إلا من خلال هذا الكتاب .

وحافظ أيضا بعرضه هذا العرض على أبناء الجيل كارثة .

وفى هذا العام أنظر فى كتاب ابنى فأجد أنهم قرروا عليه قصيدة شوقى الخالدة :

يانـائح الطلـح أشـباه عوادينـا
نأسى لواديك .. أم نبكى لوادينا

وأفرح بهذا وأعجب به . ولكن كيف يتركنى جهابذة الأدب العربى أفرح ؟

قرأت نقد القصيدة . ويل للعظيم من الصغير ، وويل للعمالقة من الأقزام وأشباه الأقزام . ما هذا أيها الأستاذ الناقد ؟ من قال لك إن الشعر يصنع به هذا الذى تصنعه ، وأى ذوق سقيم تفرضه على أبنائنا ؟

وكيف تفعل بشوقى وشعره هذه الأفاعيل ؟ إن الناقد الذواقة المتمكن حين يقف أمام نص كهذا وقفت أمامه الأجيال خاشعة مكبرة ، عليه فقط أن يبحث عن سر عظمته وخلوده وروعته . وبعد فإننى أرجو ألا يقرأ طلبة الثانوية العامة هذا الذى أكتب فإن عليهم فى الغد القريب أن يمحقوا شوقى فى ورقة الإجابة أو هم ملاقون من المصححين الويل والثبور وعظائم الأمور ، والأمر لله من قبل ومن بعد .

*** همسة لأعضاء مجلس الشعب :**

أنتم بعد أشهر قلائل ملاقون ناخبيكم . والناخبون الآن ينبث بينهم المتعلمون من حملة الشهادات العلمية ، فهم يبصرونهم بأمور لعله لا يسركم أن يبصروها .

وأول هذه الأمور وأهمها مسألة الجمع بين وظيفتين . لا أعتقد أن أحدا سيغفر لكم أن تجمعوا بين وظيفتين في الوقت الذى تحرمون فيه ذلك على صغار الموظفين والذين يحتاجون إلى وظيفتين وثلاثا وعشراً إن أمكنتهم الطاقة وأتيحت لهم السبل .

ولا أعتقد أحدا سيقبل منكم أنتم بالذات أن تكونوا أعضاء مجلس شعب ونواب مصر جميعها ، والمشرعين والرقباء على جهازها التنفيذى ، وتظلون مع هذا موظفين فى الجهاز التنفيذى الذى أنتم رقباء عليه .

لا يستطيع أحد أن يتصور أن يكون أحدكم موظفا فى وزارة لها وزير ، ويكون فى نفس الوقت رقيبا على هذا الوزير . وقد كان النظام يقضى بأن تترك للنائب فرصة ثلاثة أشهر يختار بعدها أن يظل فى وظيفته أو يصبح عضوا فى المجلس التشريعى .

وأنا أعتقد على أى حال أن استثناءكم أنتم بالذات من قانون الجمع بين وظيفتين ، يجعل القانون غير مقنع لمن يطبق عليه .

وأعتقد أيضا أنكم لو ذهبتم إلى الناخبين وقد تنازلتم عن هذا الحق الشاذ الذى لا مثيل له فى أى دولة ديمقراطية أو غير ديمقراطية فى العالم ، سيكون منظركم أكثر إشراقا وجمالا ، ويكون انتخابكم أيضا أكثر احتمالا .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٦٩
٢١ مايو ١٩٧٦

لم يتسع الوقت

حين تقرر أن يسافر إلى السعودية لأعمال الشركة البولندية التى يعمل بها ، لم يفكر فى شىء آخر إلا أن يزور الأماكن المقدسة ويطوف حول الكعبة المكرمة ويقف أمام شباك النبى .

ولم يكن توقه إلى العمرة عن أىشعور بالإيمان ، بل كان كل ما يفكر فيه هو تحدى هذه الرواسب التى تسيطر على أفكار المسلمين ، والتى يرى أن انصياعهم لها ما هو إلا تعلق ببقايا الأبوة وعهود الصبا والطفولة .

وكان واثقا أن الإنسان المتحضر لا يمكن أن يؤمن بفكرة الدين أو التعلق بأوهامه . . .

وهو واثق من نفسه وأفكاره ، وقد ازداد بها وثوقا حين اختار المذهب الشيوعى مذهبا وانسلك فى قالبه ، وواجه كل ما واجهه أصحاب المذهب من عقاب كما نال كل ما ناله هؤلاء من ثواب .

والوظيفة التى يرتع فيها الآن ما هى إلا نهلة من فيض البحر الذى انسكب على أبناء مذهبه ، فما كانت الشركة البولندية لتعينه لو لم يكن شيوعيا غارقا فى الشيوعية يهب لها نفسه وإلحاده ، ويقدم إليها أيضا فقره لترده عليه غنى ووفرة ورفاهية ورخاء .

وقد استطاعت الشيوعية أن توفر له ما لم تستطع الرأسمالية أن توفره لأحد من أمثاله ، فسيارته كاديلاك من آخر طراز ، نعم السيارة رأسمالية

ولكن ما دام الشيوعى قد استخدمها فإن سيارته هذه الكاديلاك بالذات تصبح شيوعية بالتخصيص .

ومنزله من أفخم منازل الزمالك ، وأثاث بيته غالى الثمن غلاء فاحشا ولا يهم من بعد إن كان يتسم بالذوق السليم أولا يتسم ، فكل ما يهمه أن يكون غالى الثمن .

أما ملابسه فهى فى الحق مضحكة ، فإنه فيما يبدو مصاب بعمى الألوان فتراها تختلط على جسمه كقصة غير معقولة ، أو كموسيقى صاخبة يعزفها قوم لا قائد لهم ولا نوتة تجمع بينهم . ولكن كل وحدة من وحدات ملابسه ثمينة فى ذاتها واضح أنه بذل فيها المال الكثير ، فيما يركب أو يسكن أو يلبس .

وكان يتيه دائما بين الناس بأنه لا يمد يده لأى دولة شيوعية ، وأنه شيوعى بالمبدأ لا بالجيب . وهو بطبيعة الحال يرى وظيفته هذه التى يشغلها والتى تسكب عليه المال حق طبيعى له لا صلة لها بالشيوعية .

هو يرى ذلك أمام الناس حين يخاطبهم ، ولكنه فى دخيلة نفسه يعرف تماما أنه لو لم يكن شيوعيا لما زاد دخله عن دخل زملائه الذين تخرجوا معه ، والذين يعجز مرتبهم أن يطاول عشر مرتبه .

هو واثق كل الوثوق أن ذلك الخير الذى يمرح فيه سببه الوحيد الذى لا سبب غيره أنه شيوعى ، ويعلم أن الكلية التى تخرج فيها قد منحت الحياة الآلاف من أمثاله أغلبهم أكثر منه علما ودربة على العمل وإتقانا له .

ولكن الشيوعيين وحدهم من هؤلاء الآلاف هم الذين يستطيعون أن ينالوا ما تهبه له الحياة من حظوة . وأصحاب الجرأة فيهم هم الذين

يستطيعون أن يواجهوا الناس أنهم لا يمدون يدهم لأى بلد أجنبى ! وهو من أصحاب الجرأة هؤلاء .

حين نزل إلى جدة قصد فندق الرياض حيث كانت شركته قد حجزت له حجرة فاخرة ذات غرفة ملحقة وتلفزيون . وبعد أن أودع الحجرة حقيبته ونظر إلى المرآة واطمأن على القصة غير المعقولة التى يضعها على نفسه ، نزل إلى بهو الفندق ينتظر أصحاب العمل الذى جاء من أجله .

ولكنه فوجئ بصديقه رفعت جالسا فى البهو . . .

ـ أنت . . . أنت فى السعودية ؟

ـ عمل .

ـ فقط ؟

ـ طبعا سأعمل هذه العمرة التى تحكون عنها فى دينكم .

ـ وأنت ؟ ألك دين آخر ؟

ـ أنت تعرف .

ـ فعلا . . . أنت مسكين . . . أنت بلا دين على الإطلاق .

ـ أحمد الله على ذلك .

ـ بل احمد الشيطان إن شئت .

ـ المهم أنت ماذا تفعل هنا ؟

ـ أنا جئت من أجل هذه العمرة التى نؤمن بها نحن المسلمين .

ـ وهل قمت بالعمرة ؟

ـ ليس بعد : أنا على موعد مع الأصدقاء أن نقوم بها .

ـ أذهب معكم .

ــ ألا تخاف ؟

ــ أخاف مم ؟

ــ ألا تخاف أن تؤمن . . . إن للكعبة روعة وإن لقبر الرسول ضياء لا تراه العين ، وإنما بنفذ إلى القلب وإلى حنايا المشاعر فيرج الإنسان رجا عميقا ، وترى روحك حلقت إلى عليين تطوف مع النبى فى رحلة آخر دين أرسل إلى الناس ، وتراه معذبا فى سبيل عقيدته ثم تراه فى خطبة الوداع أتم دينه وبشرنا أن الله رضى لنا الإسلام دينا . يخطب فى أصحاب حجه إن دماءكم وأموالكم حرام بينكم حرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى عامكم هذا .

ويهتم بهم وهو يختم رسالته إلى البشرية : اللهم هل بلغت ؟ ويصيحون : نعم . ويهتف مرة أخرى . اللهم فاشهد .

أتحتمل هذا جميعه ؟

ــ قد لا يحتمله السذج من أمثالك ، أما أنا فأحتمله وإنى واثق .

ــ لكم أخشى أن أجدك أكثر سذاجة منى ومن أصحابى المؤمنين .

ــ لقد جربت نفسى مع الإيمان .

ــ حقا ؟

ــ ووجدت نفسى غير قابل للإيمان على الإطلاق .

ــ هل أنت واثق ؟

ــ كل الثقة .

ــ وكيف عرفت ؟

ــ تعرضت لمحنة فلم أذكر الله .

ــ ما نوع المحنة ؟

ــ هل يهمك هذا ؟

ــ كل الأهمية .

ــ كنت راكبا سيارتى ، وغفت عينى لأجد نفسى غائصا بسيارتى فى الماء . حاولت أن أفتح باب السيارة فاستعصى علىّ . ورحت أحاول وأنفاسى تختنق بى تشدنى إلى الموت فى جذب آسر عنيف ، ولم أجد أمامى إلا أن أحاول الخروج من شباك السيارة فرحت أدفع جسمى . . خلالها دفعا ، ثم لم أدر بعد ذلك من أمر نفسى شيئا .

ــ أنقذت وأنت مغمى عليك ؟

ــ نعم .

ــ ومتى كنت تريد أن تذكر الله .؟

ــ إننا نحن المؤمنين نذكر الله حين نصبح عاجزين ، فإن الله يأمرنا أن ندبر نحن أمر أنفسنا ، ونتوكل عليه ولا نتواكل .

وقد كنت أنت مشغولا بإنقاذ نفسك ، وحين جاءت اللحظة التى يجب أن تقول فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله كنت مغمى عليك . يا صديقى إن هذه التجربة لا تصلح دليلا تطمئن إليه أنك محصن ضد الإيمان .

ــ أترى ذلك ؟

ــ لا شك فى ذلك . . . هيه . . . أتأتى معنا ؟

ــ لا ، سأذهب وحدى .

وأثار الحديث الكثير من الوساوس فى ضميره . ما مصيرى إذا اهتزت مشاعرى من الإيمان ، واستيقظت من سباتها تلك البذرة القديمة التى

ألقى بها فى نفسى أبواى وسقتها البيئة والتقاليد وتاريخ أجدادى الطويل ذاك فى ظل العقيدة .

وما البأس أن أومن وأظل فى عملى . . . هـراء . إن عملـى متوقـف على إلحادى . ولماذا ألقى بنفسى إلى صراع أنا فى غنى عنـه ، ومـالى لا أبعد مشاعرى عن هذا الامتحان ؟ قد أجوزه وأظل على إلحـادى أو قـد أرسب وأعود إلى الإيمان ويومئذ وداعا للكـاديلاك . . والملابـس الأنيقـة والعيش السعيد .

وبعد أيام التقى الصديقان فى بهو الفندق .

ــ أراك تنهى إقامتك بالفندق .

ــ عائد إلى بيتى .

ــ هل أديت العمرة ؟

ــ لم يتسع الوقت . . .

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٧٣
٢٥ مايو سنة ١٩٧٦

من مفكرة : ثروت أباظة

حديث إلى مولانا الإمام الأكبر

أنا من الكثيرين الذين يكنون للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود كل إجلال وإعجاب وتقدير ، فهو رجل فيه كبرياء العلماء وتواضعهم ، ينظر إلى الدنيا مستصغرا ، وينظر إلى وظيفته فى الحياة مكبرا ، وهو عف الضمير واليد واللسان ، عالم واسع العلم تتيح له ثقافاته المتعددة أن تكون نظرته شاملة عميقة . وهو لاشك من المعالم الإسلامية التى تشرف مصر فى جميع محافل العالم . ولهذا جميعه أتيح لنفسى أن ألقى بالمشورة فى ساحته فيما يتصل بفيلم محمد رسول الله الذى منع الأزهر عرضه . وقد كنت أتمنى أن يشاهده مولانا الإمام الأكبر ليدلى برأيه بناء على المشاهدة . ففكرة عرض فيلم إسلامى ليست ممنوعة فى ذاتها فقد ظهرت قبل اليوم أفلام أخرى لا تختلف فى مضمونها عن هذا الفيلم ، وإن يفضلها فى الإخراج وروعته . ظهرت أفلام « ظهور الإسلام » و « فجر الإسلام » و « الشيماء أخت الرسول » وجميعها ظهرت بموافقة من الأزهر . كما أن الأزهر وافق لى على فيلم كلفتنى به مؤسسة السينما ، وإن كانت لم تنتجه بعد بعنوان « قلوب فى السماء » .. وهو فيلم إسلامى . وظهر أيضا فيلم بأكمله عن « خالد بن الوليد » وآخر

عن « بلال مؤذن الرسول » وهما من الصحابة وكانت القاعدة التى يطبقها الأزهر ألا يظهر أحد من العشرة المبشرين بالجنة .

ومثل هذه الأفلام تتيح للشباب أن يعرف تاريخ دينه من الوسيلة الإعلامية التى يقصد إليها . وقد كانت هناك مفاوضة معى أن أشترك مع كتّاب هذا الفيلم ، ثم انقطعت هذه المفاوضة . وإنى أشهد الله والحق أننى ما كنت لأستطيع أن أضيف أو أعدل مشهدا أو كلمة من مشاهد الفيلم أو حواره .

وإنى أرى الأعداء يتربصون بديننا من داخل الوطن ، ويلبسون عباءة الإسلام ويمسكون خنجره ، ثم يوجهون عدوانهم إلى الدين والوطن . .
وأنا رجل مؤمن عميق الإيمان لم يختلج فى نفسى شك إلا الذى يؤدى بى إلى اليقين . . ومولانا الإمام الأكبر يعرف عنى هذا ... وأنا مطمئن كل الاطمئنان إلى قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ . ولكن هذا لا يمنعنا أن نرد كيد الكائدين ومكر الماكرين .

وهم فى كيدهم يحاولون أن يجعلوا ديننا السمح الذى أمرنا أن نوغل فيه برفق — يبدو دينا عسرا عنيفا يتمثل أمام الذين لا يعرفونه وسيلة تضييق وأخذ بالخناق فينهار اقتصادنا وتتحطم آمالنا فى الانتعاش المالى .
فإن المذهب الذى يلحدون إليه لا يلتقط أنفاسه إلا من العفن ، ولا يتفرع وينمو إلا فى الدمار ، ولا تنبت جذوره إلا فى الأرض الخراب .

وبعد يا مولانا الإمام ، فإن أخشى ما أخشاه أعداء يتخفون فى ثوب الأصدقاء ، ولكننى فى نفس الوقت مطمئن إلى صدق نظرتك وجلاء بصيرتك ، وقد ارتضيناك لديننا إماما وشأننا وإياك فى هذا الدين أن تأمر فنأتمر وتنهى فننتهى وتسمح فنترخص وأنت بما ارتضيناك له جدير .

من العاملين وإليهم ......

جاءنى خطاب من أحد العمال يقول فيه : « إننى من خلال ملاحظتى ، ومن خلال استعمالى لوسائل النقل العام ، لاحظت أن بعض العاملين بالمؤسسة يتعاملون مع الجمهور باستهتار شديد . فمثلا تقبل السيارة على محطتها وهى غير مزدحمة ، ولكن السائق فى الكثير من المرات يتوقف فى منتصف الطريق والعربة شديدة الازدحام ليشرب كوب شاى أو عصير قصب ، رغم وجود هذه الأشياء بنهاية الخط . ومثل هذه الأشياء تجعل الأزمة تبدو وكأن ليس لها حل على الإطلاق حتى لو زيدت السيارات ، وأصلحت الطرق .. فإن العيب الأساسى هم العاملون بمؤسسة النقل العام . بل إن تصرفاتهم هذه تضغط على أعصاب الجمهور وتستفزه إلى درجة اليأس .. »

وقد أحببت أن أنقل الخطاب الذى جاء إلىّ بعباراته .. فكلنا نعلم أن البلاد تمر بأزمة طاحنة . وكلنا نعرف أن السيارات العامة غير كافية وأن التليفونات غير صالحة ، وأن الخدمات العامة جميعها ناقصة لدرجة مثيرة .. ولكن هذا جميعه يهون إذا لم يتسرب اليأس إلى قلوبنا . وإنى أذكر أننى كنت أتحدث إلى وزير سابق قبل أن يخرج من الوزارة ، وقلت له فى أثناء الحديث عن شأن من الشئون العامة أن هذا الأمر لابد أن يصلح . فقال « نصلح إيه ولا إيه » . والواقع أن الكلمة صدمتنى من وزير مسئول ، وأذكر أننى قلت إن كل سفر طويل يبدأ بخطوة .. والواقع إننى لا أرى الخطوة أبداً بل أحيانا أراها إلى الوراء . تستطيع الأيام أن تدمر التليفونات والكهرباء والطرق والمواصلات ، لكن ويل لنا

وللأيام إن هى دمرت نفوسنا .. إننا أشبه بمن يدخل بيتا قائم الجدران راسى الأسس ، ولكن الأثاث بداخله جميعه حطام ، ولابد لنا أن نبدأ برفع الحطام لنضع الأثاث الجديد ، فإنه لا أمل لنا يرجى إذ ظللنا نبكى الأثاث المطحون أو إذا هالنا الأمر وتولانا اليأس ، فلا سبيل لنا إلى تجديده أبدا .

وكم أكره هذا الكلام وما أكتبه ، فإن النصائح الموجهة إلى الجماعات كلمات ضائعة فكل إنسان يعرفها وترديدها ثقيل على نفس الكاتب والقارئ جميعا .. ولكننا نحتاج إليها لنصل إلى ما نريد .. فإننى أوجه هذا الكلام إلى كل مسئول ، والمسئولون أقل عددا من العاملين بطبيعة الأمر .. وإن هؤلاء المسئولين إذا لم يلجأوا إلى القواعد العامة التى تؤكدها التشريعات السماوية .. والقوانين الوضعية ، فلا أمل لنا ولا لهم . لابد من العقاب والثواب ، ولابد أن يكون العقاب فى أيام محنتنا هذه شديداً رادعاً . وإننا لنعلم أن عمر بن الخطاب شدد العقوبة على الذين يخفون الطعام فى عام الرمادة وهى سنة القحط الشديد الذى ألم بالناس فى أثناء حكمه .

وقد سمى عام الرمادة ، لأن وجوه الناس أصبحت فى لون الرماد من شدة الجوع . وقد استطاع عمر أن ينجو بالناس من الأزمة دون أن تلحق أذى بنفوسهم ، وإن ألحقت بأجسامهم الجوع والهزال وبوجوهم لون الرماد .

ونحن هنا نستقبل ما نحن فيه بنوع من اليأس اللامبالى .. ولكن هذا اليأس هو الذى يجعلنا لا نتحطم فى داخلنا ، ولكن إذا ألم بنا اليأس إلماما يجعلنا لا نقبل على إصلاح ما بنا فعلى مستقبلنا العفاء .

إن أول بوادر الأمل أن نطبق قانون الثواب والعقاب .. وأن يعم هـذا القانون جميع مرافق حياتنا وأنا غير يائس ... فمنذ قريب روى لى صديق كريم أن خطابا جاءه مـن مهنـدس رى فـى بلدتـه يطلـب إليـه أن يرفـع ماسورة تروى حديقتـه منـذ زمـن طويـل . وذهـب الصديـق إلى وكيـل الوزارة المختص فوجده رجلا غاية فى الكياسة والأدب ولطف الحديث ، واستمع إلى شكواه واطلع علـى الخطـاب وطلـب المهنـدس الـذى صـدر الخطاب من إدارتـه ، وبكـل هـدوء قـال لـه : يجـرى تحقيـق فـورى مـع المهندس الذى أرسل هذا الخطاب لأنى أشم فيه رائحة أرفضها ..

أنا فى انتظار التحقيق بعد يومين .

إذن فهناك رؤساء يعرفون أن فى توقيع العقوبة علـى المخطئ إنصافـا للناس جميعا ، وإنصافـا للعـاملين الذيـن يـؤدون واجبهـم وإرضـاء لوجـه الله .

بغير توقيع العقوبة لا أمل فى إصلاح ، وإن انهمرت على أرض مصر كل وسائل الخدمات الحضارية .. وإن رئيسا لا يوقع العقوبـة يسـىء إلى مصر قدر ما يسىء العدو ، وهو أشد على مستقبل مصر خطرا مـن كـل عدو يتهددها أو يتآمر عليها .

ويل للإنسان من نفسه :

فى بعض الأحيان يسلط القدر الإنسان على نفسه .. فيكون هو شر عدو يلاقيه .... وشر أنواع العداء أن يعتقد الإنسان أنه قمة رفيعة باذخة بينما لا يظن الناس به هذا الظن ، حينئذ هو فى دوار مخيف آخذ . لأن الحقيقة دائما واحدة ، ولكنها عنده مزدوجة . هو يراها من ناحية ، والناس جميعا يرونها من ناحية أخرى .

هو يرى أن كل تكريم أقل مما يستحق ، والناس ترى أن كل تكريم له أكثر مما يستحق .. حينئذ يصاب هذا المسكين بنوع من الترفع يقضى على البقية الباقية له عند الناس .. فإن كان كاتبا كتب ما لا يفهمه الناس ، لأن الناس فى رأيه غوغاء وسائمة ، وعليهم هم أن يفهموا ما يكتبه وليس عليه أن يكتب ما يفهمون .

وإن كان تاجرا نظر إلى الزبائن فى تكبر وترفع فهم عنه هاربون ، وهم من بضاعته نافرون ، وإن كان يبيع لهم أنسام الحياة .

وهكذا سيكون أمره إن مررت به على كل مناحى العمل فى الحياة .

وهو شر ما يكون مع زوجه وأولاده .

فإن كانت زوجته ذكية وحاولت أن ترضى غروره تعذر عليها هذا واستحال ؛ لأنها مهما تبذل له من إرضاء لغروره لن يرضى ، فهو فوق كل تكريم وأرفع من كل تعظيم وحسب زوجته الله ونعم الوكيل .

أما مع أولاده فالمصيبة أدهى وأمر ..

فإن الأولاد فى هذه الأيام لا يحبون أن يصدقوا أن آباءهم قمم ، كما كان أبناء الجيل الماضى ينظرون إلى آبائهم . فحين يرى الأبناء أباهم منتفخا كالديك الرومى ولا يجدون ما يبرر هذا الانتفاخ — إن أمكن

وجود مبرر لغروره عامة — فإن الأبناء تصاب بنوع من الاحتقار لآبائهم ، وويل لأب يحتقره أبناؤه .

وعلى كل حال ، فإن عقاب هذا النوع من الناس يكمن فى الخلق الذى يتخلقون به ، فهم فى صراع دائم بين واقعين : واقع يتوهمونه وواقع يراه الناس ، وبين هذين الواقعين يعيش هؤلاء فى حريق . خفف الله عنهم ومنحهم على بلواهم الصبر إنه قريب مجيب .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٧٦
٢٨ مايو ١٩٧٦

القصة واللغة

لا أدب بغير لغة . وهذه قاعدة لا تحتاج إلى مناقشة . وبحسبك نظرة إلى الآداب الأخرى لتجد أنهم يهتمون بلغتهم اهتماما بالغا . فاللغة هي الوسيلة التي تصل بالعمل الفني إلى مستقبليه . فلابد للكاتب أن يكون عليما بلغته حتى يصل بها إلى حيث يريد من نفوس قرائه . والعلم واللغة ليسا مجرد معرفة بألفاظها ، وإنما معرفة بأسرار الألفاظ ومسراها وإشعاعها وارتباطها بالمعاني المختلفة في نفوس الناس .

ولكن ظهرت في السنين الأخيرة فئة ترى أن الروائي أو القصاص لا يحتاج إلى لغة عربية جميلة أو سليمة لكتابة القصة . والأعجب من ذلك أنهم يضعون القواعد والأسباب لنظريتهم هذه ، فيقولون إن الأسلوب الجميل يلهي القراء عن تتبع أحداث الرواية أو القصة ومراميها . ويذهب بعضهم إلى الدعوة لاستعمال اللغة العامية مرتئين أن هذا يجعلها أكثر واقعية .

والواقع أن في هذا القول جهلا كبيرا بالواقعية . فليست الواقعية نقلا للواقع وإنما تحوير قصصي له . فالقصة تستلهم الحياة ولكنها لا تنقل عنها وتستشف ما وراء أحداثها من أعماق وأسرار .

تستطيع الحياة أن تؤلف كما تشاء ، فهي لا تحتاج إلى قراء ولا يعنيها رأي النقاد في كثير أو قليل . إنها كما قال شوقي في مصاير الأيام :

وألقـى رؤوسـا إلى الضـاربين وضمـن بـأخرى فلـم تضـرب
أراد لمـن شـاء رعـى الجديـب وأنـزل مـن شـاء بالمخصـب
وليـس يبـالى رضـى المستريح ولا ضجر الناقم المتعب وضمـن

هذا هو دستور الحياة فى أبنائها وفى قصصها ورواياتها .

أما القاص فلابد له إذا ألقى رؤوسا إلى الضاربين أن يمهد لهذا الحديث ، ويجعله طبيعيا منطقيا داخلا فى نسيج العمل الفنى دون نفوذ ولا شذوذ .

وهكذا تصبح الواقعية الفنية فى الرواية والقصة أمرا مختلفا كل الاختلاف عن واقعية الحياة . واللغة جزء من هذه الواقعية وجمال السرد يحبب القارئ فى العمل الفنى ، ويجعله يشعر أن الكاتب يحفل به ويحترمه ويقدم له أجمل ما عنده . والجمال فى الأسلوب لا يباعد بين القصة والقارئ ، ما دام جمال الأسلوب ليس استعراضا أسلوبيا ، وإنما سبك لأحداث القصة وتوفير الانسجام بين عرضها ومضمونها وشكلها جميعا .

حتى الحوار يجمل به أن يكون باللغة العربية البسيطة . فالقارئ قد عود أن تكون القراءة بالعربية لا بالعامية ، وهو قادر بل إنه يجد متعة أن يقلب الحوار العربى إلى حوار عامى فى ذهنه . وقد استطاع توفيق الحكيم ومن بعده نجيب محفوظ ، ثم تبعتهما أنا أن نكتب حوارنا بلغة سهلة عربية يخيل لقارئها أنها عامية . ولم يشق على القراء ذلك بل لعله كان أكثر إمتاعا لهم .

ولكن معرفة الكلمة العربية السهلة تحتاج إلى إلمام كبير باللغة العربية ، وإلى حس صادق بخوافيها . ولكن من قال إن الفن شيء سهل ؟ إنه جهد ضخم ، وعلى من يرود طريقه أن يحتمله أو يبتعد عنه .

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٨٠
١ يونيو سنة ١٩٧٦

من مفكرة . . ثروت أباظة

حيرة مع مليم ناقص

كانت المدارس تبدأ قبل أن يجمع الفلاحون القطن فكان أبى يرسلنا إلى القاهرة ، ويبقى هو فى القرية ليشرف على جمع القطن . وكانت مدبرة منزلنا سيدة كبيرة السن ، وكان زوجها صديقا لأبى ، فحين مات عنها عاشت هى معنا ترعى أمرى أنا وإخوتى . وكانت مصاريف المنزل ومصاريف أيدينا فى يدها . وبطبيعة الحال فرتكت أنا مصروفى فى لحظات وأصبحت يا مولاى كما خلقتنى . وجاءنى صديقى إحسان عفيفى وهو اليوم الدكتور إحسان عفيفى ، وقال إن فيلما جديدا ظهر للوريل وهاردى ومعروض فى سينما مترو بول . وعملت الحسبة وتبينت أننى أريد خمسة قروش لأذهب إلى السينما وأركب الترام ذهابا وإيابا . فتذكرة السينما صالة درجة أولى ثلاثة قروش ونصف القرش ، والترام ستة مليمات ذهابا ومثلها إيابا ويبقى معى ثلاثة مليمات . ذهبت إلى أم عبده وطلبت منها القروش الخمسة وطبعا سألتنى فيم تريدها . فقلت لها أشترى كتابا ـــ وكانت بعض الكتب فى ذلك الحين تباع بخمسة قروش . وتظاهرت أم عبده أنها صدقت ونفحتنى القروش الخمسة ..

بكرنا فى يوم الجمعة أنا وإحسان ذاهبين إلى السينما وركبنا ترام ٣٣ إلى العتبة ، ودفع إحسان لى تذكرة الترام ، وحين حاولت أن أحتج قال ادفع أنت لى عند عودتنا فابتلعت احتجاجى . كنت يومذاك فى

الابتدائية بمدرسة العباسية . وكان إحسان بالسنة الأولى الثانويـة بمدرسة فاروق الأول الثانوية ، وهكذا كنت لا أعرف أحدا من أساتذته .

وقفنا عند شباك التذاكر ، فرأى أستاذا له مع آنسة يقفان عنـد شباك البلكون ، فطار عقله وهتف بى فى جنون فرحان : أستاذ الإنجليزى معـه واحدة ، ويقطعان بلكون لابد أن نقطع بلكون معهما .

ـ تقطع معهما ! ؟

ـ نعم .

ـ كيف ؟

ـ كذا .

ـ بكم تذكرة البلكون ؟

ـ بأربعة قروش ونصف .

ـ وكيف أرجع .. تذكرة الترام بستة مليمـات ولـن يبقـى معـى إلا قرش تعريفة .

ـ ولا يهمك أنا أقطع لك تذكرة الترام .

كانت تلك هى المرة الأولى فى حياتى التى أعرف فيها القلق ..

قطعنا تذكرة البلكون وظللت طول الفيلم والهواجس تنهـش عقلـى ، وأحاول أن أردها بضآلة الفرق بين ما معـى ومـا أحتـاج إليـه مـن أجـل تذكرة الترام .

لم أتمتع بالفيلم ، مع أنـه كـان مـن أحسـن أفـلام لوريـل وهـاردى . وانتهى الفيلم وأضيئت الأنوار والتفت إلىّ إحسان . ليس هناك إحسان . امحى . ألغاه الوجود ، أصبح كأنه لم يولد ، لا إحسان على الإطلاق .

وقفت بباب السينما حتى أغلقوا الأبواب ولا إحسان .

ماذا أفعل ؟

الأتوبيس بقرش تعريفة ، ولكننى ساكن جديد بحى العباسية ولا أعرف إلى بيتى طريقا إلا من محطة الترام .. أما أين ينتهى بى الأتوبيس وكيف أذهب إلى بيتى لا أعرف . مشيت إلى شارع فؤاد لأسأل عن محطة الأتوبيس فوجدتها .

هل الأتوبيس الذى يقف هنا يذهب إلى شارع فاروق ؟

ــ لا ولكن ترام ٣٣ هو الذى يذهب ، ومن محطة الترام هذه تستطيع أن تركبه .

المصيبة إن محطة الترم كانت أمام محطة الأتوبيس مباشرة فى شارع فؤاد نفسه . ووجدت نفسى أقول فى بلاهة .

ــ ولكني أريد أن أركب الأتوبيس .

ونظر إلىّ محدثى يبحث عن لهجة أجنبية فى كلامى فلا يجد فليس من المعقول أن يفعل هذا إلا سائح ولست به لا كلامى ولا منظرى يدلان على ذلك . طبعا لم يخطر له على بال أن معى تعريفة وليس معى ستة مليمات . فالمليم لا يستطيع أن يكون فرقا بأى حال وعلى أية صورة .

وجدت على محطة الأتوبيس صديقا لى فى مدرسة المنيرة . ولكن ماذ أقول له هات مليما . أهذا معقول ؟ تواريت عنه حتى لا يرانى وجاء الأتوبيس وركبت وسألنى الكمسارى :

ــ أين تريد أن تذهب ؟

ــ العباسية .

ــ أى عباسية ؟

ــ العباسية القريبة من شارع الجنزورى .

ــ تحتاج إلى قرش صاغ .

مصيبة لم تقدر على المليم فكيف تقدر على التعريفة كاملا .

ــ اذهب بى إلى آخر محطة يوصل إليها هذا التعريفة .

وأدرك الركاب الأزمة . وللأسف لم يكن الأتوبيس مزدحما ، فكان كلامى يرن فى أسماعهم جميعا .. والتفتوا إلى صبى يرتدى من الملابس ما يدل على أنه ميسور الحال وليس معه إلا تعريفة . أى شعب عظيم هذا . فى لحظة واحدة سرت فى الأتوبيس معان كثيرة كلها رفيعة وشريفة وجميلة . فأنا عند الكبير منهم ابن وعند الصغير أخ . وتسارعوا جميعا إلىّ ، منهم من يريد أن يدفع لى فآبى خجلا شاكرا ، ومنهم من يريد أن يصحبنى إلى البيت فيزداد خجلى ، وأطلب إليهم فى لعثمة أن يدلونى على طريق البيت فقط .

ويصل الأتوبيس عند شارع أحمد سعيد ويأتى إلىّ الكمسارى أن أنزل هنا وينزل معى بعض الركاب ، ويقومون جميعا بإرشادى إلى الطريق .

وأسير وأصل إلى شارع الجنزورى ، وألتقى فى منتصفه بإحسان عفيفى . عاد إلى الحياة من جديد بعد أن حلت المشكلة . كانت على وجهه ابتسامة معتذرة لا تغنى شيئا .

ــ أين أنت ؟

واحتجزت دمعى حتى لا يراه وذهبت إلى البيت وتلقانى أم عبده .

ــ أنا أعرف أن القروش الخمسة التى أخذتها لم تكن لكتاب . أنت ذهبت إلى السينما .

لم يكن ينقصنى إلا أم عبده أيضا .. النهاية . ترى هل استفدت شيئا من البحث عن المليم ؟ لا أظن .

خطاب من البريد :

كتب إلى أحمد يوسف سعد من الإسكندرية خطابا على جانب كبير من الأهمية . فهو غاضب من أخبار متفرقة تظهر فى الجرائد تنم عن الفوضى ، ويعطى مثلا على ذلك أنه نشر فى الأهرام منذ شهرين تقريبا . أن كافورى حضر كمستثمر ، وعرض توريد سيارات ثلاجة لنقل سمك بحيرة ناصر ، ورفض المسئولون بحجة أنهم لا يعانون اختناقات فى نقل أسماك بحيرة ناصر . ثم عاد الأهرام بعد مضى فترة لا تتجاوز شهرا من نشر هذا الخبر فنشر أيضا : تجرى الآن الجهات المسئولة البحث عن أسرع وسيلة لنقل سمك أسوان .

ولقد طلبت من قسم المعلومات فى الأهرام أن يبحث عن هذين الخبرين فلم يوفق إلى ذلك ، فلعل الأستاذ أحمد يوسف سعد يذكر لنا التاريخين حتى نتمكن من عرض هذه القصة التى أراها أنا غاية فى الأهمية .. وأعتقد أن كثيرا من الشعب يرى ذلك معى .

حديث إلى الدكتور يوسف إدريس :

شأنى مع الدكتور يوسف إدريس عجيب فما جلسنا معا وقال آراء إلا اتفقت معه فيها ، وما قرأت له شيئا يعرض فيه آراءه إلا اختلفت معه .

أقرب مثل على ذلك ما كتبه فى مفكرته يوم الجمعة الماضى ، لقد تناولت المفكرة جميعها فيلم الكرنك وقصته ، وقد شاء الدكتور أن يرفض رواية نجيب محفوظ الكرنك ويحتفى غاية الاحتفاء بفيلم الكرنك الذى مازال وسيظل قصة نجيب محفوظ أيضاً . وقد عانيت من هذا

بصورة أبشع ومن كتاب بعنيهم عندما ظهر فيلم شيء من الخوف عن روايتى شيء من الخوف أيضا . ولكن ذلك تاريخ ماض وإن كان أخونا الدكتور يوسف يجدده مع أستاذنا نجيب محفوظ فهو يقول كقاعدة عامة : « لعل من أحسن من يتعرض لنقد القصص هو من يكتبها » والقاعدة مقبولة بشرط واحد هو ألا يفرض القصاص نفسه على القصاص الآخر . فكل قصاص له طابعه ، فإذا كتب عن قصاص آخر فحتم عليه أن ينظر إلى طابع القصاص الذى يكتب عنه ولونه واتجاهه الفنى غير فارض نفسه عليه .

ويعود الدكتور يوسف ليقول : « حين صدرت ـ رواية الكرنك ـ وقرأتها فى حينها وجدتها شبه ريبورتاج صحفى أكثر منها حياة داخلية روائية عميقة عودنا إياها نجيب محفوظ فى معظم أعماله » .

ولما كنت أكتب الرواية وهى عملى الأساسى ، فقد أصبحت لا أهتز فى كثير أو قليل من كلمات الحياة الداخلية والعمق والمستوى والأبعاد والشكل وغير ذلك من الألقاب التى ألغيت من الناس وألصقت بالأعمال الفنية .

إنما الذى أعرفه ، والذى لاشك أن الدكتور يوسف إدريس يعرفه كل المعرفة أن الكاتب إذا اختار الشخص الأول فى سرد قصته أصبح حرا أن يضع على لسان هذا الشخص كل ما يريد أن يقول فى صراحة تامة لا رمز فيها ولا مواراة ، وبغير خفوت أو مداورة فنية .

وقد كنا جميعا نلجأ إلى الشخص الثالث حين كانت الحياة السياسية تفرض علينا الرمز ، حتى جاءت الحرية وأصبح الرمز سذاجة فنية تدعو إلى الضحك والسخرية .

فيم الرمز وقد أتاحت لك الحرية أن تقول ما تشاء ؟

لقد كنا نرمز لأننا نخاف على أنفسنا ، فلـو كنـا كذلـك مـا كتبنـا ، وإنما كنا نرمز لأننا نريد لكلامنا أن يرى النور ويقرأه الناس .

وهذا الكلام الذى يقال لنجيب محفوظ عجيـب ، وهـو الـذى كتـب ثرثـرة فـوق النيـل وميرامـار واللـص والكـلاب ومجموعـة القصـص غـير المعقولة وغيرها كثير ، وهو أستاذ الرواية المصرية .

أما النقاد الذين يشير إليهـم الدكتـور يوسـف إدريـس ، فهـو يعـرف اتجاههم تماما وما تحولوا إليه من رفض لكل عمـل يشـير إلى هـذه الفـترة بالطريقة التى تناولتها الكرنك بها . وبعد ، فالذى لاشـك فيـه أنـه لـولا رواية نجيب الخالدة الكرنك ، ولولا نجيب الشامخ لما وجد هـذا المخـرج البرعم الذى مازال يفض غلاف الجدة عن نفسه .

**** وحديث إلى أستاذنا توفيق الحكيم :**

لقد جاء فى كلمـة أستاذنا الأسبوعية التـى نشـرت السـبت المـاضى بعنوان مأساة العظمـاء ، أن التـاريخ يحاسـب الزعيـم حتـى ولـو لم يكـن مخطئا . ولكن يا سيدى الأستاذ اسمح لى أن أقـول إن الزعيـم المفـرد هـو المخطئ دائما . وأن فى الشاهد الذى تفضلت فسقته الدليل على ذلك .

فقد قلت إن المخطئ فى موقعة واترلو هو جوروشى وليس نابليون .

ولكن يا سيدى الأستاذ من الذى اختـار جوروشـى هـذا ؟ إن الـذى اختاره هو نابليون . والذى يختار شخصا لمهمـة عليـه وحـده أن يتحمـل مسئوليته ، فالتاريخ إذن يا سيدى لم يظلم حين ألصق التهمـة بنـابليون . فإنه هو صاحبها وليس غيره .

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٨٣
٤ يونيو ١٩٧٦

مصطفى محمود (بين الدين والعلم)

يقوم الدكتور مصطفى محمود بدور هام لأجيالنا من الشباب . فهو يفسر لهم دينهم بصور العلم الذى يتعلقون به ويتوهمون أنه يسيطر على حياتهم وأن سيطرته هذه تجعل الدين خرافة ونوعا من الغيبية .

الإنسان بطبيعته يحب أن يؤمن .. لأن الإيمان فى ذاته ضرورة الحياة . ولقد رأينا الملحدين . فهم جازعون هالعون إن مستهم مصيبة عادوا إلى إيمان مفزع غير مطمئن .

ولقد وجد الدكتور مصطفى نفسه فى النهج الذى انتهجه ، ووجد الشباب فيه ضالتهم التى كانوا يتلمسون فتوافق على يديه العلم الحديث والإيمان العميق . وقد توافرت عند الدكتور مصطفى كل الأدوات التى تمكنه من مخاطبة الشباب .

فهو طبيب فى دراسته ، فنان فى هوايته ، وصوفى فى عقيدته . وبهذه المقومات جميعا خاطب الشباب فأحبوا ما يكتب وأقبلوا عليه ، وأصبح الإيمان عندهم متمثلا فى صورة واضحة الملامح بينة المعالم .

فلذلك أنا أخالف الأستاذة الدكتورة سهير القلماوى فيما ذهبت إليه من أنها كانت تريد الدكتور مصطفى محمود أن يتفرغ للقصة العلمية فإن كتابا كثيرين يستطيعون أن يكتبوا القصة العلمية . وأنا أخالف أستاذتنا الدكتورة حين قالت .. إن القصاص مصطفى محمود تاه منا فى

نخضم عميق الأغوار من العلاقات المتشابكة بين العلم والعقيدة أو الدين .

فإن الدكتور مصطفى لم يته منا أبدا ، بل إنه اتضح لنا عن كاتب متمكن فى الطريق الذى أعده له قدره ودراسته وفنه وتصوفه .

وأخالف أستاذتنا الدكتورة فى قولها : إن موضوع الإيمان فى مقابل العلم هو الموضوع الذى ضيع فيه د . مصطفى محمود نفسه مؤلفا قصصيا . فالذى أعتقده ويعتقده الجمهور الكبير الذى يقرأ له أن د. مصطفى محمود وجد نفسه فى هذا الموضوع .

وأحب أن أناقش الدكتورة فيما جاء فى مقالها من أن المجموعة كلها عودة إلى الأسلوب القصصى العلمى الذى برع فيه د . مصطفى محمود والذى تؤهله له ملكاته وثقافته أن يبلغ فيه آفاقا عظيمة ، لولا أنه غرق فى بحر الإيمان والتدليل على الدين والإيمان بالعلم .. ثم الهجوم على العلم هجوما لا يتعمق المشاكل تعمقا عودنا عليه فى قصصه . فأولا فى بحر الإيمان لا يكون الغرق وإنما النجاة ، وثانيا أن الدكتور مصطفى لا يهاجم العلم بالإيمان وإنما يوفق بين العلم والإيمان . فهو فى كل ما يكتب يحاول أن يظهر قدر الله من خلال العلم ولا هجوم هنا على العلم .

وأنا يا دكتورة لست أدرى لماذا يرمى بالسطحية كل من يتجه إلى الإيمان والدين بعمله الفنى . ولست أدرى لماذا يكون الإيمان سذاجة بينما الأدب الملحد أكثر مباشرة ، فهو دائما يتقولب المذهب الإلحادى ويصرخ بإلحاده عاليا ولا يرميه أحد بالسذاجة .

هل إذا انضوينا تحت أعلام ديننا الذى قوم الأجيال لفترة قاربت ألفا وأربعمائة سنة نكون سذجا ؟ وإذا ألحدنا إلى مذهب لم يستطع أن يطبق حتى اليوم ، وتداعى عنه أنصاره وأفلس فى مدى خمسين عاما نكون تقدميين ؟ وفى كتابتنا عمق وأبعاد إلى آخر هذه الأسماء التى لا مسميات لها عندهم . وهذا الحديث لا أسوقه إليك يا دكتورة فلست والحمد لله – منهم . وهذا الحديث لا أسوقه إليهم ولكنك فيما أخذت على الدكتور جعلتنى أذكرهم .

وبعد ، فإنا مع الدكتورة أن الإسلام لا يشرف بأن حقيقة علمية اكتشفت حديثا أشارت إليه آياته البينات . فالإسلام نفسه والقرآن هما كل الشرف ولا شرف يمكن أن يضاف إليهما . ولكن هل هناك ما يمنع من ذكر الحقائق العملية التى أشار إليها الكتاب الكريم ؟

وبعد ، مرة أخرى يا سيدتى الدكتورة ، ما أبعد المثل الذى تفضلت فسقته عن أديبنا العالم د . مصطفى محمود ، فأين القذافى بجهله وسطحيته وسذاجته وحمقه من عالم أديب تعمق العلم وتعمق دينه وقدمه إلينا فى علم وأصالة وإيمان وبراعة .

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٨٧
٨ يونيو ١٩٧٦
من مفكرة ثروت أباظة

القرية بين الحضارة والأصالة

ذهبت إلى قريتى هذا الأسبوع وطريقى إليها كله حقول ، فهكذا طرق مصر الزراعية جميعا ، ولكن حين اقتربت من قريتى وجدت نسمة لها عبق خاص أنست له نفسى .

جزء من كيانى لاقى جزءا من كيانى ، بعض منى هفا إلى بعض منى . أريج زهرة البرسيم مع عيدان القمح المحصود مع بشائر شجيرات القطن من هذا العبق الذى عرفته منذ ولدت والذى أعرفه وإن كنت مغمض العينين ، أنه عبق قريتى .

حين كانت أكياس القطن فى المدحاية تنتظر المشترى ، نتخذ منها نحن أطفال القرية ملعبا ومراحا أملنا أن يطول بها الأمد ملقاة أو واقفة لنختبئ بينها ونجلس عليها ونسمر ، وليس يعنينا رغبة آبائنا الملحة أن تجد المشترى وتنقل .

رفاق ملعبى صالح أبو عرابى الذى أصبح شيخ الخفراء الآن ، والسيد أبو على الذى أصبح المخزنجى ، وصلاح أبو أحمد ابن العمدة الذى أصبح مدرسا أول ، ويوسف أبو عبد القادر الذى كان يصنع لنا السيارات من الطين وأصبح اليوم عامل المكن ، وغيرهم وأصبحوا اليوم هم رجال القرية ، فحين سعى إليهم الحقد ليوقع بينى وبينهم لفظت

نفوسهم بذرة الحقد ، وسقت شجرة الحب بيننا التى نمت فى نفوسهم وفى نفسى .

وأسمع من رجل من رجال السياسة الكبار وضع تحت الحراسة فترة طويلة ، ورفعت عنه هذه الحراسة فى عهد الحرية ، أن الفلاحين فى الأرض التى يملكها والتى وقعت عليها الحراسة كانوا يقصدون إليه جميعا فى كل عام ، ويؤدون إليه إيجار الأرض كاملا لا حراسة هناك .

أخلاق بعيدة عن الحقد . وقد دمر الحقد حياتنا فترة من الزمان ، ولكنه جاء عند مشارف الريف وهزمته نفوسهم ووفاؤهم وحرصهم على هذه المعانى الكريمة التى يعيشون بها حياتهم .

وأذكر هذا ، وأذكر مثال أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود فى هذا الشأن وأحاول أن أرجع إليه فتعييني الحيلة ، وأطلب مكتب المعلومات فى « الأهرام » أستنجد به فما هى إلا أن أضع سماعة التليفون حتى أجد المقالة عندى حاضرة من قريب ، وأقرأ :

« أخلاق القرية التى ندعو لها لنجعل منها نموذجا لسلوكنا ضرورية لحياتنا ، ولكنها وحدها لا تكفى إذ لابد أن تكملها أخلاق المدينة » .

وأقرأ :

« بل إن الاتجاه العام الذى يسود عصرنا هو تحويل القرية إلى مدينة بالمعنى الحضارى لا تحويل المدينة إلى قرية فالأقرب إلى التصور فى يومنا هو أن يتحول الفلاح إلى عامل زراعى ، بكل ما تحمله كلمة عامل الآن من حقوق فى الأجور والتأمينات والائتمان النقابى وغير ذلك » .

وأذكر ما كتبه أستاذنا الدكتور فـي مفكرتـه الأخـيرة وأجـده فلاحـا مثلنا جميعا ، وأتساءل هل هناك ما يمنع أن يتمتع الفلاح بكل هـذا الـذى ينشده له أستاذنا الدكتور ويظل مع ذلك على أخلاق القرية ؟

أى تعارض هناك بين الحضارة وبين الأصالة فـى الأخـلاق تلـك التـى رسخت فى نفوس الفلاحين منذ سنوات تتجاوز الآلاف عددا ؟

الدكتور زكى نجيب محمود من أعظم المصريين تحضرا . فهو من أعلم أساتذتنا وأكثرهم ثقافة واطلاعا على الآداب العالمية والفلسـفات القديمـة والحديثة . ولكننى مع ذلك أزعم أن أخـلاق القريـة عـامل أساسـى فـى تصرفاته الخاصة والعامة على السواء ، والدليل بين يدى غير بعيـد ، فقـد ذكر كيف شعر بالحرج الشديد حـين اضطـر أن يذكـر كـل شـىء عـن نفسه وعن تفاصيل ما يملك وكيف كان يسير فى الطريق يحس أنـه تجـرد مما يجب أن يستر به نفسه . تلك يا سيدى آثار القرية فى نفسك ، فنحن فى القرية نحب أن تكون شئون منزلنا مقصورة على أهل منزلنا وعلينا .

أما ما يخشاه الدكتور عن الروابط الأسرية التى تجمع بين أبنـاء القريـة فلا شك أنـه يعلـم أن هـذه الروابـط تجعـل للحياة متعـة خاصـة وتمكـن الإنسان أن يسير بين الناس آمنا . إن له فى الحياة أحضانا دافئة مـن أهلـه وذويه وأصدقائه ومحبيه . وإلا فبئست حياة لا يحدونـا فيهـا إلا المصلحـة ولا يدفئنا فيها إلا المادة .

أما ما يأخذه الدكتور من هنات على أهل القرية من أن عـامل الزمـن ملغى عندهـم فأنـا أوافقـه عليـه ، ولكـن يـا دكتـور لعلـك لا تنسـى أن الزراعة عندنا ما زالت على ما كانت عليه عند قدماء المصريـين ، وصلـة الفلاح بالزمن مرتبطة بصلة الزراعة بالحصاد ، فـالزمن جميعـه ملغـى ولا

يحتاجون إلى الدقة فيه . ترى هل لو أصبحت الميكنة هى أساس الزراعة يظلون على ما هم عليه من إلغاء الدقة فى الزمن ؟ لا أظن . وإننى أطمئن الدكتور وأحب أن أطمئن معه نفسى على أن التطور الطبيعى للحياة سيلغى كل ما نأخذه على أخلاق أبناء بلدتنا ، وسيبقى على كل ما هو أصيل .

* من المسئول إذن ؟

شاء الله لى أن أتخرج من مدرسة الحقوق ، وكنا قد تعلمنا هنا مادة اسمها القانون الدستورى . ومن المبادئ الأولية التى مازلت أذكرها ولا أعتقد أننى سأنساها أن السلطة التنفيذية مسئولة أمام السلطة التشريعية . والسلطة التنفيذية هى رئيس مجلس الوزراء والوزراء وكل وزير مسئول مباشرة أمام السلطة التشريعية التى هى اليوم مجلس الشعب . وكنا قد تعلمنا أن الوزير هو صاحب الرأى الأول والأخير فى شئون وزارته ولذلك يحرص الدستور أن يطلق على رئيس الوزراء لقب رئيس مجلس الوزراء ؛ لأن رئيس الوزراء لا يرأس الوزراء فى وزاراتهم وإنما يرأس المجلس حين يجمع ، وذلك حتى تصبح مسئولية الوزير كاملة أمام السلطة التشريعية .

ولذلك ، تولانى الذعر حين رأيت السيد وزير الأوقاف يعلن بمجلس الشعب أنه غير مسئول عما يجرى فى هيئة الأوقاف . فمن إذن المسئول ؟ وإلى أى وزراة تتبع هذه الهيئة ؟ وهل هناك هيئات لا وزير لها ؟ إن وجدت فمعنى ذلك أن هذه الهيئات لا يسائلها أحد . لأن

مجلس الشعب لا يسائل إلا الوزير الذى يفرض فيه أنه مسئول عن كل ما يجرى فى وزارته كبيرا ما كبر أو صغيرا ما صغر الموظف بهذه الوزارة .

إذن فالأمر أخطر بكثير من مجرد تصرفات معيبة قام بها رئيس الهيئة . إن الأمر يتعلق بالنظام العام . هل هذا الموظف يتصرف فى أموال الدولة أم فى أمواله الخاصة ؟ فإن كانت الأولى فأمام أى جهة هو مسئول ؟

وذعرت لأن هذا الذى سمعناه من السيد الوزير يرجح لدينا ما نسمعه عن هيئات أخرى لا يسأل القائمون عليها عما يفعلون . وأقرب مثل إلى ذهنى الآن جهاز الاتحاد التعاونى . فقد سمعنا مما سمعنا أن ميزانيته حصيلة ضريبة مفروضة على الفلاحين يدفعونها دون أن يعلموا وهم يتعاملون مع بنك التسليف ، وسمعنا فيما سمعنا أن الجهاز يضم بين من يضم من موظفيه عشرات قد تبلغ المائة من أعضاء مجلس الشعب ، وسمعنا الكثير ترى هل هذا الجهاز أيضا لا يتبع وزيرا مسئولا . وإن كان يتبع أليس بين النواب غير المعينين به من يبحث فى شأنه . وهل نأمل قبل كل شىء أن نعرف الوظيفة الأساسية التى يقوم بها الجهاز لصالح الفلاحين وهل تستحق أن يدفع لها الفلاحون من اللحم الحى ضريبة علم الله أنهم فى أشد الحاجة إليها .

وبعد ، فمعاذ الله أن أتهم بما ليس لى به علم .. إنما أنا أسأل .. فهل من جواب ؟ .

* تعليق على تعليق

جاءنى خطاب من السيد مستشار اللغة العربية يعلق به — وكلمة التعليق اخترتها لأكون أنا مؤدبا كما أحب أن أكون — على الكلمة التى

كتبتها عن كتاب شوقى وحافظ ، والأستاذ يصحح لى الخطأ الجسيم الذى وقعت فيه ذاكرا أن الكتاب اسمه حافظ وشوقى لا شوقى وحافظ كما ذكرت أنا ، ولعل الأستاذ المستشار لو عاد إلى الكلمة لوجدنى لم أذكر عنوان الكتاب . وإنما قلت أنه كتاب شوقى وحافظ و لم أقصد نص العنوان ومع ذلك فأنا معترف بالخطأ ومعتذر عنه .

ثم يقول الأستاذ المستشار : « إنما الأساس ـ فيما يقرر على الطلبة ـ إتاحة الفرصة لتنمية ذاتية الطالب وتدريبه على أن يتذوق ويحكم بنفسه . والمدرس لينمى قدرات الطلاب بفتح مواهبهم دون أن يتحكم فى أذواقهم ، فلكل منهم أن يتدبر ما قيل عن شوقى ويقف منه كما يشاء مؤيدا أو معارضا على أن يبرر نظرته بما يدعمها » .

والحقيقة أننى لم أكن أدرى أن المدرس حين يهاجم فى كتاب مطبوع نصا ما هجوما عنيفا فى غير ذوق ولا فنية ولا شعور بجمال الإيحاء الكلى للقصيدة يكون قد ترك الطالب حرا فى نقد النص مؤيدا أو معارضا . ولعل تلك نظرية جديدة فى التربية أو النقد لم أصل إليها بثقافتى القاصرة .

وبعد ، فلغة المستشار التى كتب بها تعليقه تبرر فى وضوح تام لماذا تتهجم الكتب المدرسية فى اللغة العربية على أعمدة الأدب عندنا فرب البيت زعيم كبير فى هذا الميدان وما على مدرسيه حرج إن تبعوه .

كم كنت أرجو أن تتوثق صلة السيد المستشار بالسيد وزير التربية والتعليم الذى أجد فيه دائما نموذجا من أرفع النماذج وأسماها فى الخلق الرضى والأدب الجم والتهذيب الذى يدعو من يعامله إلى الإكبار له والخجل منه فى وقت معا .

الأهرام ــ العدد ٣٢٦٩٠
١١ يونيو ١٩٧٦

فى آفاق الأدب الإنسانى

ظل كتاب الرواية والقصة القصيرة يكتبون القصة الرمزية فترة طويلة من الزمان . وكانت الحالة العامة تدعو إلى ذلك . أما اليوم فلم يعد للقصة الرمزية مكان . فإلى أى اتجاه ياترى ستتجه أقلام الكتاب ؟

كنا حين نكتب القصة الرمزية نخاف أن تأتى بعدنا أجيال وتقرأ هذا الذى كنا نكتبه ، وتعجب لماذا كان يرمز هؤلاء القوم ، ولماذا لم يصرحوا بما يريدون دون رمز أو تخف ، فهذه الأجيال القادمة لن تتصور أن الحرية زالت فى يوم من الأيام . وستظن هذه الأجيال أن الحرية التى تنعم بها أمر مقرر منذ أقدم العصور لم تحتجب فى يوم من الأيام .

وكنا نرد هذا الخوف عن أنفسنا ، بأن على هذه الأجيال القادمة أن تعرف أيضا تاريخ بلادها مع معرفتها بتاريخ أدبها . وحتم على الأديب أن يكون ابن عصره معبراً عن الفترة التى يعيشها فى آمالها وآلامها . ما حرمت منه وما تهفو إليه . وحين تعرف أجيال المستقبل حقيقة هذه الفترة التى عشناها ستجد أدبنا هو الصورة الوحيدة التى كان يمكن أن تظهر .

وكذلك كنا نخشى على كتبنا من الترجمة . فالعالم الأوروبى لا يتصور أن هناك مكانا فى العالم فيه هذا الأدب وليس فيه حرية ، ولكن ترجمت لنا بعض أعمال ولم يقل الغرب ذلك ، فإنه يبدو أن المثقفين فى الغرب يعرفون الحقائق عن البلاد الأخرى .

وكنت دائما أتساءل : ترى ماذا بقى من أعمالنا بعد أن يسقط عنها الرمز ويصبح غير ذى موضوع ، ولكن تبين لى أن القارئ يستطيع أن يجد فى القصة التى يقرؤها متعة دون حاجة منه لأن يعرف ما ترمز إليه .

وعلى كل تلك فترة ومضت .

وجاءت الآن الحياة التى لا نحتاج معها إلى الرمز .. ففيم نكتب ؟

أتصور أنه يجب علينا أن نكتب فيما كنا سنكتب فيه لو لم يعترض طريقنا زوال الحرية .

وأتصور أننا نستطيع أن نكتب فى المعانى الإنسانية العامة ، تلك التى نظر إليها كبار الروائيين فى العالم وكتبوا فيها أعظم أعمالهم ، مثل مورافيا وشتاينيك وهمنجواى وغيرهم وغيرهم ممن اتخذوا الإنسان كإنسان موضوعا لهم يتابعون نبضه ويستقصون رغباته وآهاته ومواطن ضعفه ولحظات قوته .

عن هذا الإنسان نستطيع أن نكتب الكثير . بل إننا نستطيع حتى أن نستثير ما أفدناه من التجربة المريرة التى خضناها وخاضها معنا الإنسان المصرى . ونستطيع أن نكتب عن الحب والكراهية . عن الحقد والسماحة . عن الخوف والأمن . عن المجهول والزمن ، عن المجتمع حين يقيد والمجتمع حين ينحل .

إننا فى ظل الحرية نستطيع أن نتحرر أيضا من القيود التى كان يضعها المجتمع حول أدبنا طلبا للحرية والسعى إليها .

لم نكن نتصور أن نرسف فى ذل الخوف والرعب ونتكلم عن الحب والسماحة . كان ضياع الحرية يفرض نفسه علينا وعلى أدبنا .

واليوم نستطيع أن ننطلق إلى آفاق الإنسانية ، وما أرحبها من آفاق ..!

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٠١
٢٢ يونيو ١٩٧٦
من مفكرة ثروت أباظة

اثنين فلاج . . وهات مليم

أنا من جيل يشرف اليوم على خمسينات حياته . مظلومون نحن جيل الأربعينات الذى ولدنا فى أواخر العشرينات . وحين جاءت الثلاثينات التى كان الجنيه فيها يشترى عمارة ويبقى منه ما يشترى بيتا كنا نحن أطفالا وكان الحصول على القرش فى ذاته عملية تحتاج إلى مناورة ومداورة .

وكنا فى هذه السنوات نحب أن نتفرج على السينما . وكان أهم ما فيها حلقات الشجيع تومكس وغيره من مشاهير الأبطال . وكنت أظل الأسبوع كله حريصا أن أبقى على قرش لى وقرش لزميل طفولتى إبراهيم الذى جاء من البلدة خصيصا ليكون رفيق ملعبى .

ثم نتعرض بعد ذلك للرعب الشديد أن يلحظ أحد تغيبى وتغيبه عن البيت فترة الساعات الثلاث التى نقضيها بالدرجة الثالثة من سينما الأهلى . حتى إذا كبرت بعض الشىء و لم أعد أحتاج لمن يلاعبنى دخل إبراهيم إلى المطبخ سالكا طريقه إلى أن يكون واحدا من الطهاة فى الأسرة وأتممت أنا رحلة الشقاء فى الدراسة .

وحين ألم بنا الشباب فى بواكيره الأولى التقينا به شبابا أسود لانور فيه ، فقد أقبلت الحرب العالمية الثانية ، وأطفئت أنوار القاهرة وأطفئ معها نور شبابنا ، ولولا أن رمت بنا الهواية إلى الأدب والقراءة لقطعناه

شبابا فارغا لا تداعبه أى متعة ولا صخب ، ولكننا نحن الذين أحببنا الأدب وانصرفنا إلى قراءته وجدنا متعتنا وضجيجنا جميعا فى القراءة ، وكنا نجتمع فى بيت أحدنا نناقش ما قرأنا ويمتد بنا النقاش حتى الوهن الأخير من الليل فنقوم إلى بيوتنا وننقلب إلى أهلنا وقد أوهمناهم أننا كنا نذاكر .

وفى ليلة سهرنا فى بيت صديقنا الأستاذ عثمان نويه الذى كان بمثابة الأستاذ لنا ولكن حبه للأدب كان يجعله يشاركنا فى حديث طه حسين وتوفيق الحكيم والعقاد والدكتور حسين هيكل تاركين مربع أرسطو والمنطق والفلسفة والجغرافيا .

وأوغل بنا الليل والوقت صيف والنسمة رخاء ، وقمنا وقام معنا صاحب البيت للمشى على غير هدى .

ولم أجد معى سجائر وقد كان العثور على سجائر فى هذه الأيام ضربا من المعجزات ، ولهذا ظللت بخيلا بها حتى اليوم .

ووجدت دكانا يتخفى وراء الظلام ينير مصباحا خجولا يحيطه بأسطوانة ورقية من بقايا علبة سجائر قديمة . وكان باب الدكان لا يزيد على ربع ضلفة من ضلف الأبواب العادية .

– عندك سجائر نمرة ثلاثة ؟

– لا .

– عندك بحارى ؟

– لا .

– كرافن إيه ؟

– لا .

- ملك مصر أو سفير ؟

- لا .

وانغمست فى حديثى مع صاحب الدكان ونسيت أمر من معى حتى وجدت يدا تنبعث من الظلام تحمل نصف قرش وتضعه على منضدة البائع لتقول فى حسم :

- اثنين فلاج وهات مليم وحياة أبوك .

أدرك الأستاذ عثمان أننى أحادث الرجل بلغة لن يفهمها . فلو كان عنده شىء مما ذكرت لما سهر إلى آخر الليل ليهتبل ربحا لن يزيد على ملاليم . وأراد الأستاذ عثمان أن يعلمنى اللغة الصحيحة التى يمكن أن يفهمها . اثنين فلاج وهات مليم . أى أنه يعرف الثمن تماما وقد تعلمت الكثير من هذه الجملة البسيطة التى طالما ضحكنا منها بعد ذلك .

لمن أتكلم ؟ وماذا أريد أن أقول ؟ وكيف أصل بما أريد إلى فهم من أكلمه ؟ تلك هى مشكلة المشاكل أمام الكاتب أو المتحدث .

تستطيع أن تكون أستاذا عظيما فى الأدب ، ولكن هذا لا يجعلك بالضرورة تعرف اللغة التى تخاطب بها من تخاطبهم . فهناك كلام يقال فى المدرج بأسلوب معين وألفاظ بذاتها ، وهناك كلام يكتب فى المجلات المتخصصة . وهناك كلام يكتب للجرائد اليومية ، وهناك حديث خاص للندوات العامة . ومعرفة كل مجال وما يتطلبه من كلام هو الأساس الذى نستطيع به أن نصل إلى الناس .

ولكن كثيرا من الأساتذة يكتبون فى الجرائد اليومية مالا تحتمله إلا المجلة المتخصصة ، وكثير منهم يكتب فى الكتب كلاما لا يسوغ إلا فى الجرائد اليومية . وتختلط الأمور عليهم وعلى قرائهم ويقعون فى

أحابيل « الأستذة » ويقع الجمهور فى أحابيل الخوف من التصريح بعدم الفهم . حتى لا يقال عنهم جهلاء ويصبح الكلام فى الهواء لا قيمة له ولا يجد له فاهما .. كم يحتاج هؤلاء الأساتذة إلى عثمان نويه ليقول لهم اثنين فلاج وهات مليم وحياة أبوك .

* دعوة كريمة من أستاذ كريم :

كم كان أستاذنا زكى نجيب محمود رائعا فى مفكرته الأخيرة . وإنى واثق أنه لم يصدر فى دعوته إلى إنقاذ تلميذه عن روح الأستاذ بقدر ما يصدر عن روح الإنسان . فلكل أن يعانق المذهب الذى يشاء وله أن يدافع عنه بكل المنطق الذى يملكه . ولكن ليس لأحد أن يصادر رأيه أو يعذبه لأنه صاحب رأى .

إن الإنسان هو أكرم ما خلق الله ، وأى مساس بحريته أو بجسمه أو بمشاعره إنما هو وحشية وهمجية وانتكاس إلى أبشع ما عرفته البشرية من عهود .

فليكن تلميذ أستاذنا هذا شيوعيا أو فوضويا أو ما يشتهى أن يكون ، إنه وحده صاحب الحق فى تكوين عقيدته ولا سبيل لأحد عليه إلا بالنقاش الحر ، ودفع الحجة بالحجة والرأى بالرأى . أما أن يكون النقاش باعتقال الحرية ، وأن يكون رد الحجة بالاعتداء على كيانه البشرى ، ويكون دفع الرأى بالتهديد فى النفس أو العرض أو المشاعر فذلك أمر تأباه الإنسانية التى تسود هذا العهد الذى نعيش فى ظله .

أنا لا أعرف صاحب هذه المشكلة ، كما أننى حين قرأت مقال الدكتور زكى لم أهتد إليه ، ولكننى سمعت البعض يرددون اسمه ،

وظللت مع ذلك لا أعرفه ولا أذكر أنني التقيت به . إلا أنني عرفت أنه يعاني هذا الذي يعانيه منذ نحو عشر سنوات ، فهو إذن قطعة منسية من عهد مضى والحمد لله .

وإنني واثق أن الدكتور زكي في ندائه إنما يستثير المشاعر الكريمة التي يعرفها في القائمين بالأمر الآن ، ولا شأن للدكتور زكي بالناحية الطبية ، وإنما الذي ننشده أن تنظر في حالة هذا المستغيث جماعة محايدة من الأطباء . وإننا واثقون بضمائر الأطباء ، أما أولئك الذين كانوا يشرفون على المعتقلات فما هم من الأطباء ولا من الطب في شيء .

والنظرية القانونية تقول إن الشريك في الفعل مثل فاعله . ولكن الوزر الذي يقع على كاهل المشاركين في التعذيب من الأطباء أكبر من وزر الشريك العادي . فالمفروض في الطبيب أن يكون رحيما ؛ فهو الذي يأسو جراح الجسم والنفس فإن أهمل فهو مجرم . أما أن يساعد من يحطم الجسم ويسحق النفس فهو شر من مجرم .

وعودا إلى دعوة أستاذنا أحييه من أجلها وإن كانت ليست غريبة على من هو في مثل خلقه الرفيع وثقافته العالية .

*** اقتراح إلى التليفزيون :**

ترى هل فكر التليفزيون في تسجيل التراث الأدبي من المسرحيات الشعرية والأعمال الأدبية الكبرى ؟

إني أقدم إليه هذا الاقتراح راجيا أن يبحثه .

لماذا لا تمثل روايات شوقي جميعا وروايات عزيز أباظه وروايات الشرقاوي وصلاح عبد الصبور في التليفزيون ؟ وإني واثق أنها ستجعل

للتليفزيون رصيدا ضخما هو فى أشد الحاجة إليه ، كما أنه سيبيعه إلى جميع تلفزيونات العالم العربى .

وإذا أضفنا إليها روايات الأستاذ على أحمد باكثير النثرية مع تسجيل ما لم يسجل من روايات رائد المسرح العربى توفيق الحكيم ، فإننى أعتقد أن روايات أستاذنا الحكيم وباكثير لا تقل كثيرا فى مستواها الفلسفى والفكرى عن مدرسة المشاغبين .

ولماذا لا يسجل التليفزيون روايات الريحانى على أن يقوم بتمثيلها كبار ممثلى الكوميديا وخصوصا فؤاد المهندس تلميذ الريحانى الأول .

ألا يكوّن هذا الاقتراح للتليفزيون مكتبة رائعة تغنيه لمدة عامين أو ثلاثة عن الحرج الذى يعانيه والذى ينعكس على المتفرج المسكين كمدا وغيظا وألما ؟ وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وكلمة أحب أن أهمس بها للتليفزيون ما دمت أتحدث إليه . ترى هل شاهد أحد الحلقة التى سجلتها إحدى المذيعات مع الفنان وانلى . ترى هل نسيت السيدة الفاضلة المذيعة أن هذه الحلقة تذاع فى بلد عربى إسلامى له تقاليده وأخلاقه وقيمه ؟ ولا أحب أن أفصل ما أجملت حتى لا أحرج نفسى ولا أحرج الفنان ، ولا أحرج التليفزيون أكثر مما هو محرج دائما .

فإن هناك أسرارا فى حياة الناس ينبغى لها أن تستر ويجهل عن يثيرها أن يكون رفيقا فى مسها إن كان لها أن تثار .

الأهرام ــ العدد ٣٢٧٠٨
٢٩ يونيو ١٩٧٦

حواديت وملحوظة

الحر شديد شديد . والحديث الجاد ثقيل على المتحدث والمستمع معا ، فما عليّ لو حكيت لك بضع حواديت ، وما عليك لو أنك قرأت ما أكتبه لك للتسلية ولإزجاء الوقت .

هاتان حكايتان من صنع الحياة ، ولعلك تريد أن تسأل : فلماذا لا تصوغهما فى قصتين وهذه بضاعتك ؟

يبدو أنى لا أجد فيهما شيئا أستطيع أن أصوغ منه قصة . فالحياة قد صاغت كلا منهما و لم تترك لى مجالا لاجتهاد .

ثم أنا أخشى إذا صغتهما أو صغت واحدة منهما أن تسألنى بطريقتك المعهودة : « ماذا تريد أن تقول بقصتك » وأنت محق . فإنه لا بد لى أن أريد شيئا من قصتى ، أما الحياة فإنها تؤلف كما تشاء ولا يجرؤ أحد أن يسألها ماذا تريدين فهى غير حريصة على إرضائك ولا على إرضاء أحد . وهى ليست ملزمة أن تقدم لك حكمتها عن كل قصة تؤلفها ، فللحياة حكمتها الكلية الخالدة وليس يعنيها أن تكون لكل حكاية صغيرة لها حكمة قائمة بذاتها .

* الحكاية الأولى :

صداقة ساعات

عن صديقنا علي . كان منذ أيام فـى النـادى وتعـرف هنـاك بصديـق جديد هو خيرى ، وحدث بينهما هـذا الشـىء الـذى يحـدث كثـيرا بـلا معنى ولا تبرير ، فقد أحس كل منهما أنه يعـرف الآخـر منـذ سـنوات , وفى لحظات أصبحا صديقين حميمين .

ـ أين تسهر الليلة ؟

ـ عند عصام .

ـ الله . . أنا الآخر مدعو عنده .

ـ نذهب معا .

ـ لا بأس ، أترك سيارتى هنا ونذهب معا .

وذهبا وظلا رفيقين طوال السهرة . وازدادت الصداقـة بينهمـا قـوة ، حتى قارب موعد الرحيل فقالت ربة البيت :

ـ إلهام ستأتى الآن .

وقال خيرى لعلى :

ـ أظن أنه حان موعد قيامنا .

وقال على :

ـ مستحيل لا بد أن أبقى .

ـ لماذا ؟

ـ لأرى إلهام هذه .

- أتعرفها ؟

- دون أن . . . .

- كيف ؟

- إنها صديقة لصيقة لابن عمى .

- ماذا تقصد بصديقة لصيقة ؟

- أى معنى تريد أن تفهمه .

- ولكنها متزوجة .

- وتريد أن تترك زوجها لتتزوج ابن عمى المجنون بها والذى ينفق عليها عن جنون أيضا .

- هل أنت واثق ؟

- أقول لك إنه ابن عمى .

ومرت صاحبة البيت بالصديقين :

- على ، أريدك .

وقام إليها وهمست :

- ماذا تقول لخيرى عن إلهام ؟

- حكايات .

- سمعتك تتكلم عن إلهام .

- من ضمن الحكايات .

- ماذا قلت له ؟

- أروى له عن حكايتها مع شريف ابن عمى .

- نهارك أسود .

- لماذا ؟

ـ لأنه هو زوجها وهما مختلفان فى هذه الأيام .

ـ ماذا ؟

ـ ما سمعت .

ـ أين باب الخروج ؟

وهكذا لم تستغرق الصداقة الجديدة أكثر من ساعات فى حياة الصديقين ، أى حكمة فى هذا لا أدرى ؟ أستطيع طبعا أن أستخرج لك بعض حكم سخيفة : لا تتحدث عن النساء إذا كنت لا تعرف من تتحدث إليه معرفة وثيقة . أو حكمة أخرى أكثر سخافة : لا تتعجل بالصداقة أو ما شئت ، ولكن المؤكد أن الحياة لم تقصد إلى أى حكمة تريد أن تسمعها ، أو أحاول أنا أن أفتعلها افتعالا .

* الحكاية الثانية

الزواج والقدر

لعلني لم أعرف في حياتي شخصا أحب زوجته قدر ما كان عبد الحميد يحب زوجته ، فقد كان دائم الفخر بها والإكرام لها . وكان سعيدا أنها تفصل له قمصانه ، وأنها أيضا تعاونه على العيش بالتدبير . وكان يرى فيها الجمال الذى لا يراه في أحد سواها . . ولم يكن عبد الحميد ساذجا ولا عبيطا . وإنما مارس الحياة ومارسته وعرف فيما قبل الزواج كل ما يعرفه الشباب قبل الزواج من لهو ومتعة ، بل ولعله بالغ بعض الشيء فى لهوه ومتعته . حتى إذا تزوج أصبح لا يعرف غير زوجته وعمله والصلاة والصوم والعبادة أعمق ما تكون العبادة .

وكنا حين نلتقى بعبد الحميد نصبح على ثقة أن الحديث لن ينقضى ، أو يأتى بذكر زوجته مرتين أو ثلاثا على الأقل . ولما كان يكبرنا فى السن فقد كنا نخجل أن نعلق على حديثه هذا بغير ما يحب .

حتى كان يوم سمعنا فيه عجبا . لم تكن زوج عبد الحميد أهلا لهذ الحب وهذا الوفاء .

وقد اكتشف هو الحقيقة المروعة ، ولكنه ظل ثابتا كالطود واجدا فى صلاته وصيامه ملاذه الذى يلوذ به من النكبة النكباء التى تزلزل الجبال الشم .

كانت زوجته فى ريعان العمر ، ولم يكن هو يسبقها فى العمر بسنوات كثيرة ، فكان عدم وفائها لا تبرير له إلا أنها نوع من النساء لا يعرف كيف يكون وفيا . طلق زوجته . ومشت الحياة .

وعرفت سيدة فاضلة تصلح زوجة لعبد الحميد . إلا أننى أخشى أن أتدخل فى مثل هذه الأمور ؛ فإن الصلة بين الزوج وزوجه صلة لا مثيل لها فى الصلات ، وأخشى أن تكثر بينهما المشاجرات فيلعنني كل منهما فى كل مشاجرة وأنا لا أحب أن ألعن بغير مناسبة .

إلا أننى استخرت الله وقلت أقوم بالتجربة .

عرضت الأمر على عبد الحميد فرحب . وعرضت الأمر على السيدة وأهلها ، فقالوا لا بد للعريس أن يعلم أنها لا تنجب فقد تزوجت من قبل ولم تنجب .

سألته فقال :

ــ وأنا أيضا تزوجت من قبل ولم أنجب ولا حاجة بى إلى الإنجاب .

وتزوجا ، منذ خمسة وعشرين عاما تزوجا .

وقبل أن ينقضى العام الأول جاءنى عبد الحميد .

ــ لن تصدق .

ــ ماذا ؟

ــ زوجتى .

ــ مالها ؟

ــ حامل .

ــ غير معقول !

ــ تلك إرادة الله .

ــ أجاد أنت ؟

ــ تلك إرادة الله .

ثم أنجبت فتاة أسمياها اسما حبيباً إلىّ ، وكأنهما أرادا أن يشيرا إلى أنهما يلعنانى كثيرا والفتاة الآن فى السنوات الأخيرة من الجامعة .

ولكن الحكاية لم تنته بعد .

لم يمر على زواج عبد الحميد عام وبعض عام حتى جاءنى .

— لن تصدق .

— ماذا ؟

— زوجتى الأولى .

— مالها ؟

— ماتت .

— كيف ؟

— مسكينة .. ماتت لأن زوجها رفض أن يأتى لها بطبيب .

— زوجها ؟

— نعم ، فقد تزوجت الفتى الذى كانت تعرفه .

— إذن ..

— مسكينة . . يرحمها الله .

وانحدرت من عينه دمعتان فهو وفىّ غاية الوفاء حتى لمن لم يف له . فى هذه الحكاية انقلبت الحياة إلى قصاص ميلودرامى الحكمة عنده يقولها بصوت جهير حتى لا تحتاج منى إلى توضيح . . ومع ذلك لو كنت أنا الذى ألفت هذه القصة لما نجوت منك ولظللت تقول ما لهذا الكاتب أصبح ساذجا لا يعرف حتى كيف يروى قصته فى فنية أو بعض إتقان ! لهذا تركت الحياة تقدمها إليك لم أتدخل أنا ، وهل ترى أنى أستطيع أن أتدخل ؟

*** ليست حكاية وإنما ملحوظة :**

فاز الحزب الشيوعى الإيطالى بحوالى سبعين كرسيا فى الانتخابات الجديدة . ولكن العجيبة أن الحزب الشيوعى نال هذه الكراسى لأنه قدم للناخبين برنامجا ضد الشيوعية .

وعلى الذى يعجب معى من هذه الملحوظة أن يرجع إلى الوعود التى قدمها الحزب الشيوعى إلى الناخبين .

الأهرام ـ العدد ٣٢٧١٨
١ يوليو ١٩٧٦

الأدب فى عصر العلوم

عجيب أمر هذا الأدب . كيف استطاع أن يخترق هذه الأجيال جميعا ليصل إلينا . كيف استطاع التراث العربى أن يركب الأجيال إلى زماننا هذا . فنعرف ما قاله امرؤ القيس وعنترة والمنخل اليشكرى ، ثم يزيد التاريخ فيروى قصصهم بعد أن تناقلتها الأجيال أشياء مسموعة لم تسجل فى ورق ، حتى جاء عصر الكتابة فتمكنت قصصهم وتمكن شعرهم من التاريخ وتصدره ، وراح ينفذ من جيل إلى جيل حتى جاء عصرنا هذا ليروى الشعر الجاهلى وما بعده من أموى وعباسى ، بل إن التاريخ حتى لم يسقط الشعر الهزيل الذى نظم أيام المماليك والذى يشبه المزحة السخيفة فى تاريخ مصر .

ونفس هذه الدهشة تتولانا مما نقل إلينا من الأدب العربى الرفيع منه والهزيل ، تحافظ عليه الأجيال وتتناقله كمعالم من خطى الحضارة فى البشرية .

ولكن هذه الدهشة تنقلب إلى ذهول حين نجد أن الأدب ما يزال موضع إجلال وتكريم فى هذا العصر الذى تعمق فيه العلم وبلغ ذروة العالم وتسيد الحياة فى شموخ مخيف . ومشى الإنسان على القمر وطاول المريخ وداعب الزهرة .

ماذا أبقى على الأدب فى عصر العلم الشامخ هذا ؟ وكيف كتب له أن يعيش وأن يظل مزدهرا ؟

بل الأعجب من ذلك ، لماذا يحاول كثير من العلماء أن يكتبوا شعرا أو قصة أو ينتموا إلى دنيا الأدب من أى سبيل ، مع أنهم أساتذة فى علومهم ولا يحتاجون إلى شهرة . ولعل قائلا يقول وأى عجيبة فيما ترى ؟ إن عصر العلم لم يلغ الموسيقى ولا إقبال الناس عليها وعلى الغناء ولكن الأمرين مختلفان كل الاختلاف . وأين الاسترخاء الذى تسلم نفسك إليه وأنت تستمع إلى الموسيقى من الجهد العقلى والنفسى الذى يلم بك إذا أنت قرأت أدبا حقيقاً خليقا بأن يحمل اسم الأدب .

ما الذى يجعل القارئ يبحث عن رواية ويقرؤها ، أو عن مجموعة قصص قصيرة أو مسرحية جادة ذات أعماق .

ترى هل لأن الأدب هو علم الإنسان ، والإنسان مصاب دائما بنرجسية لا تبارحه يحب أن يرى نفسه ، ويحب استطلاع ما لا يستطيع منه فكاكا ، يحب أن يعرف أعماق غيره . بل لعله فيما يقرأ يرى أعماق نفسه ويخيل إليه أو يهيئ هو لنفسه أنها أعماق غيره .

ما كان أغناه عن هذا . فإن العلم أيضا لم يفلت هذه الناحية للأدب وطلع عليه بعلم النفس الخالص ، وليس على من ينشد تعمق نفسه إلا أن يقرأ كتب علم النفس . وقد يقول قائل شتان . وأين العلم الجامد الصلب من الرواية أو القصة أو المسرحية ، تتسلل إلى خوافى النفس وإلى خلجات المشاعر ونأمات الضمير لتكوّن أخلاق الناس وتربهم الكون جميعا فى أحرف وكلمات .

ولكن هل يفكر القارئ كل هذا التفكير حين يشترى رواية أو مجموعة قصص أو مسرحية . أم أن الفن الأدبى طبيعة من طبائع النفس الإنسانية تحب أن تسمعه وأن ترويه وأن تنفعل به وأن تستثير به انفعال الآخرين . وإن لم تكن فما سر بقاء الأدب حتى اليوم علما خفاقا من أعلام الثقافة العالمية يعتبره الكثيرون أسمى الأعلام وأرفعها شأنا لأنه يقوم على عنصر الإبداع .

ولعل هذا العنصر هو الذى يجتذب إليه المشاهير من العلماء وغيرهم ، محاولين أن ينتسبوا إلى عالم الأدب واجدين فى ميدانه شرفا لعله أكبر من شرف الميدان الذى ينتسبون إليه فى نظرهم على الأقل .

ثروت أباظة

الأهرام ــ العدد ٣٢٧١١
٢ يوليو ١٩٧٦

كتاب . . يكرهون الحب

إن أى شعب يكره الحقد ولا يقبله . والمفروض فى الكاتب أن يكون إنتاج شعبه . أى يكون ابنا شرعيا للشعب ولأخلاق الشعب . ولكن هناك كتابا فيهم لأخلاق الشعب عقوق . فهم يمثلون روحا كريهة مقيتة ، ويتخلقون بغير ما يتخلق به أبناء شعبهم .

إنهم معذورون . .

لقد عاش هؤلاء الكتاب واشتد عودهم فى أرض الكراهية وفى أجواء الحقد ، فهم لا يعرفون الحب ولا يحبون أن يعرفوه .

إن الدماء التى تجرى فى عروقهم حقد . والسائل الذى تمجه أقلامهم كراهية . لقد تغذوا فما تغذوا بغير الحقد والكراهية . ولقد شبعوا وأتخموا فما شبعوا ولا أتخموا إلا بالحقد والكراهية .

وهم منذ نشأوا يبذرون بذور الشقاق بين أبناء هذا الشعب ، ويشعلون نيران المقت ويطفئون إشراقات المودة ويجففون رحيق الحب .

ولكن الشعب أصيل . رفض مقتهم وحقدهم وظل قلبه نقيا لا يعرف إلا الحب .

وزال زمان الحقد . وجاء عهد يقول إن الحقد هو شر ما يعانيه الإنسان فطار صوابهم . فإنهم بغير هذا الحقد يموتون . إنه النار تشتعل

بين جنباتهم ويريدون أن يشعلوها بين جنبات الشعب أجمعين ، ولكن العهد يقول الحب ، فإلى أى وجهة يتجهون بنار الحقد فيهم ؟

أيحترقون وحدهم . . . وكيف ؟ . . . أين يفرغون النار اللاهبة فى نفوسهم ؟ لا حيلة لهم إلا أن يهتفوا بالحقد ويعظموه ويبذروه .

ولكنهم مساكين . لقد فشلوا أن يبذروا الحقد وينموه حين الأرض ، أرض الكراهية والأجواء أجواء الحقد . فكيف بهم اليوم وهم يريدون أن يبذروا الكراهية فى أرض الحب وفى أجواء المودة والتعاطف والتآخى والتآزر والحب ؟ حبط سعيهم وخاب رجاؤهم وانتكس عليهم عملهم . وتحيا مصر الحبيبة لا ترعى إلا الحب ولا ينتشر فى سمائها إلا الود والإخاء . . . تحيا مصر .

الأهرام ــ العدد ٣٢٧١٥
٦ يوليو ١٩٧٦

القانون
هو الحياة والحرية

من القواعد القانونية الأساسية أنه لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص ، ومعنى ذلك أن القانون وحده هو الذى ينشئ العقوبات على الجرائم . وهذه العقوبات هى فى الواقع التى تحدد الأعمال المجرمة والتى لا يجرمها المجتمع ، وإذن فالنصوص وحدها هى التى تجعل الفعل جريمة أو غير جريمة .

والمجتمع بغير عقوبة مجتمع بلا قانون ، والمجتمع بلا قانون فوضى ، فتوقيع العقوبة وحده هو الذى ينقذ المجتمع ويجعله صالحا أن يعاش .

ولا حياة بغير قانون . إذا اختفى القانون اندحر الاقتصاد وسقطت الحياة جميعا .

وإننا نتكلم كل يوم عن العقاب والثواب . ثم لا نرى إلا الثواب دون العقاب . نسمع عن السرقات ولكن المحاكم تتراخى فى إصدار الأحكام . ولا جناح عليها ولا تثريب ، فإن القضايا تثقل كاهلها وتضطر تحت أثقال القضايا أن تتأخر فى نظر قضايا المال العام فيزداد اللصوص جرأة عليه ، ويزداد الصمت صمتا والتستر تسترا . لابد أن تنشأ محاكم خاصة . ومن قضائنا نفسه لا من غيره . وتتفرغ هذه المحاكم لقضايا الأموال العامة . وأرجو أن تكون أحكامها محاطة بكل الظروف المشددة والقانون لا يحتاج إلى تعديل .

فالعقوبة على السارق الذى كان مؤتمنا على الشىء المسروق أشد بطبيعتها من العقوبة على من لم يكن مؤتمنا عليه .

بهذه الأحكام سيرتدع المجرمون . وبشىء آخر لعله أكثر أهمية أن يحاسب مجلس الشعب كل من يعرف عنه فسادا . ولكن ترى هل يستطيع أعضاء مجلس الشعب أن يحاسبوا على الفساد . أو على الأقل هل يستطيع الموظفون منهم أن يحاسبوا وزراءهم ؟ فمن عجب ينبت صوت يقول إنه ليس من الحتم أن نأخذ بما تأخذ به الدساتير الأخرى من عدم السماح لعضو مجلس الشعب بالجمع بين الوظيفة وعضوية المجلس . ولو أنعم صاحب هذا الرأى النظر متجردا من كل الدوافع فيما عدا الحق الذى يعرفه ويحيد عنه ، لوجد أننا لا ندعو هذه الدعوة لمجرد إجماع الدساتير عليها ، وإنما لأن الموظف عند الوزير لا يستطيع مساءلة الوزير والقوانين لابد لها أن تراعى المشاعر البشرية الطبيعية .

أما القول بأن أعضاء مجلس الشعب سيلقون التشريد والهوان إذا هم لم يجمعوا بين عضوية المجلس وبين الوظيفة فأمر يدعو إلى الدهشة ، إن كان المقصود أنهم بعد انتهاء مدة عضويتهم سيلقون هذا التشريد وهذا الهوان . فما أيسر أن تهيئ الدولة لهم العودة إلى الوظائف التى كانوا يشغلونها مع العلاوات المستحقة أيضا . أما إذ كان المقصود أن التشريد سيحيق بهم وهم أعضاء فهو أمر بعيد الاحتمال ، فإن مرتب عضو مجلس الشعب أصبح فى ذاته حصانة ضد التشريد والهوان ، وخاصة إذا نظرنا إلى التسهيلات العديدة التى يحصل عليها أعضاء مجلس الشعب على أنه حرج على الدولة أن ترفع مكافأة عضو مجلس الشعب إلى ضعفها أو ثلاثة أضعافها ، بشرط ألا يجمع بين الوظيفة والعضوية . إن

الجمع بينهما إلغاء تام للديموقراطية وعدم الجمع تثبيت لركن من أهم أركان الديموقراطية التى تقوم على محاسبة السلطة التشريعية للسلطة التنفيذية .

خطاب في البريد

سيدة لم تذكر اسمها ، ولكنى أقدم حالتها إلى وزير عرف بين الناس بالعدل المطلق وبالإنسانية . وهو الفريق الجمسى .

إنها زوجة تزوجت زوجها وهو معفى من التجنيد واطمأنت بهما الحياة وأنجبا ثلاثة أطفال ، ولكن بعد ثلاث عشرة سنة فوجئا بقانون ظهر وطبق بأثر رجعى مؤداه أن يرتفع سن المطلوبين للجندية إلى الخامسة والثلاثين . وهكذا وجد الشاب الذى مضى على زواجه ثلاثة عشر عاما نفسه مطلوبا للجندية . ووجدت الأسرة نفسها ضائعة كهباءة هائمة . وسارعت زوجته تكتب مأساتها إلى مجلس الشعب وأرسلت صورة من خطابها إلىّ .

والسيدة ذات كرامة فهى لم تذكر اسمها أو اسم زوجها جاعلة من الأزمة التى تعانيها مشكلة عامة جديرة بالاهتمام دون نظر إلى أسماء . وإنى واثق أن الفريق الوزير سيجد حلا لهذه المشكلة التى لاشك أن كثيرا من الأسر تعانى منها عناء شديدا .

رجال الفكر والتماثيل :

يعتبر رجال الفكر فى جميع أنحاء العالم المصابيح الذين سارت البشرية على هداهم . وكلما زادت الحضارة فى دولة زاد اعتزازها برجال الفكر والأدب فيها .

وما من دولة زرتها فى أوروبا الشرقية أو الغربية إلا وجدت تماثيل الأدباء ورجال الفكر ترصع ميادينها ، شهادة على أنها دولة ذات سبق فى ميادين الفكر والفن .

البلد الوحيد الذى تتخفى فيه تماثيل رجال الأدب والفن وراء الجدران هى مصر . تماثيل قليلة ومستورة أيضا وكأنما نخجل أن بلادنا قد ولدت رفاعة رافع الطهطاوى ومحمود سامى البارودى وأحمد شوقى وطه حسين وسيد درويش وغيرهم ممن تركوا بصمات فنهم على الفن العربى جميعه .

وقد ذكرنى ما كتبه القصاص الرائد يوسف جوهر فى مفكرته يوم الأحد الماضى بهذا التقصير . الذى نصر أن تكافئ به مصابيح حياتنا الفكرية والفنية والذين على مشرق هداهم سار الأدب والفن فى مصر وفى البلاد العربية جميعا .

وفوجئت فى مفكرة الأستاذ يوسف جوهر أن قاعدة تمثال ميدان التحرير خالية . وكأنى لا أمر فى ميدان التحرير عشرات المرات فى اليوم الواحد ولكن الفراغ دائما لا يوحى بشىء . . كانت القاعدة الخالية تتمثل لى وكأننا نبنى تمثالا للفراغ أو للإجداب أو للاشىء وعندنا العمالقة والرواد والشموس .

وإننى أتقدم باقتراح أن نقيم على هذه القاعدة الخالية تمثالا لآخر من تركنا من الخالدين ! وهو الدكتور طه حسين .

لن تخلد طه حسين بتمثال فى ميدان التحرير ، وإنما سنخلد العبقرية المصرية التى تخرج الأدب العربى الحديث على يديها .

بمثله تشرف مصر . ومثله فى مصر ممن يستحقون التماثيل المعلنة كثيرون علينا أن نجد لتماثيلهم الميادين فى الأيام القادمة . وإنما المهم أن نبدأ .

لا تستوى الحسنة ولا السيئة :

أمر السيد محافظ القاهرة ألا تسير لحوم الذبائح مكشوفة فى الشوارع ، وهو أمر جدير بأن يهنأ عليه السيد المحافظ . والحديث عن بشاعة هذا المنظر ومجافاته للذوق يجعل الموضوع وكأنه يحتاج إلى نقاش أو كأنما يختلف فيه رأى ورأى .

والقائمون بالعمل التنفيذى بشر يضيقون بالهجوم ويسعدون بالمديح . وكان من الطبيعى أن تؤيد الصحافة هذا العمل من السيد المحافظ . ومن لا يريد أن يؤيد فلا جناح عليه إذا هو صمت . أما أن يتخذه بعض رسامى الكاريكاتير مادة للسخرية فهو أمر يدعو إلى الدهشة والألم فى نفس الوقت .

لماذا تستوى الحسنات والسيئات ، وكيف يقبل هؤلاء البشر من القائمين على السلطة التنفيذية على أعمالهم إذا هم وجدوا أعمالهم جميعا الطيب منها وغير الطيب محل نقد وسخرية ؟

إنى أهنئ السيد المحافظ على هذا الأمر الذى أصدره . وأتمنى لو زاد وأمر أن تغطى عربات القمامة التى نفتح عليها عيوننا فى الصباح فتذكرنا بتأخرنا وتقدم العالم .

إن كان لابد أن تكون القمامة فى عربة صدئة يجرها حمار أكثر صدأ فلا أقل من غطاء يذود عن العين والنفس والمشاعر ما تكره .

وبالمناسبة فهمت أنه لا سبيل إلى إلغاء عربات الكارو فجأة دون تمهيد لأن التموين يعتمد عليها ، وفهمت أنه لابد من عام أو عامين حتى يمكن إلغاؤها .

ولكن أليس من المستطاع أن تحدد لها مواعيد سير أو مواعيد عدم سير . وهذه الدراجات غير البخارية التى تحمل فوقها سيارات نقل والتى تتسبب هى وأخواتها من عربات الكارو فى اختناق المرور والناس جميعا .

ويكفى أن أقول إننى أقطع الطريق من بيتنا إلى الأهرام فى عشر دقائق ماشيا وأقطعه فى خمس وأربعين دقيقة بالسيارة ، حتى نعرف فضل العربات الكارو وما يسمونها بالتريسكلات على أعصابنا ، ولا حاجة بنا أن نقول أوقاتنا . فقد أصبح هذا الوقت سيفا يقطعنا دائما ولا نملك أن نقطعه .

ثروت أباظة

الأهرام ــ العدد ٣٢٧٢٢
١٣ يوليو ١٩٧٦

مقهى فى عرض البحر الأبيض المتوسط

الصيف عندى هو البحر ولا شىء آخر ، والرياضة كل الرياضة التى أقوم بها عوم عاجز على شاطئ من شواطئ الإسكندرية . وفى البحر الأبيض المتوسط أغرق متاعب عام بأكمله . وأنا فى هذا العام أحتاج إلى محيط فما أحسب البحر يكفى متاعبى ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله . فبحسبى هذا الشاطئ الحبيب الذى أهفو إليه كل عام . أسعى إليه فى عامى هذا وأنا لأول مرة فى حياتى أعمل فى مكان ثابت أحمل فيه مسئولية بعينها ، ومن يدرى فربما يشاء القدر أن أغرق وظيفتى أيضا مع متاعبى فى البحر الأبيض . وما يدفعنى إلى هذا القول أى بوادر أو مقدمات ، وإنما هى النفس التى عودت أن تكون بلا وظيفة مدة خمسة وعشرين عاما ولم تعوّد أن تثبت فى مكان واحد . .

تخرجت فى كلية الحقوق وسعيت إلى الوظيفة سعيا حثيثا ، ولكننى لم أستطع منها نيلا . ولعل أطرف ما مربى فى هذا السعى ما كان بينى وبين عبد الملك بك حمزة رحمه الله . فقد كنت أعرف أنه صديق لأبى ، وأن أبى تمرن فى مكتبه عندما تخرج فى كلية الحقوق . قصدت إليه وهو رئيس مجلس إدارة شركة الملح والصودا طالبا أن أعين بها ، فكان فى كل مرة يقول تعال بعد أسبوع . وفى أسبوع من هذه الأسابيع ظهر

كتابى الأول ابن عمـار فحملته إليه لعله يكون شفيعا . وقال قولته الثابتة : تعال بعد أسبوع . وذهبت بعد أسبوع .

ــ يا ابنى أنا لن أعينك ..

ــ شكرا .

ــ أنت عبقرى ..

ــ عبقرى ؟ ! ..

ــ ولا يمكن أن أدفن عبقريتك فى الوظيفة . .

وهكذا ظلت عبقريتى بلا وظيفة خمسا وعشرين سنة أبيع فيها أرضى وأنفق من ثمن البيع . وهكذا قدر لى ألا يأخذ منى الإصلاح الزراعى قيراطا واحدا . وطبعا يرجع الفضل فى هذا إلى عبقريتى المزعومة وحدها التى رفض عبد الملك بك أن يدفنها بالوظيفة ، ورفضت كل الجهات من بعده أيضا أن تدفنها بالوظيفة ، سواء كانت هذه الوظيفة عملا فى جريدة أو مجلة تؤهلنى له عبقريتى هذه ذات النوع العجيب ، أو كان العمل إداريا أو قانونيا تؤهلنى له شهادة الحقوق التى بذلت فى سبيل الحصول عليها ثلاثة وعشرين عاما .

وكنت قبل أن أذهب إلى عبد الملك بك قد طلبت من أبى عندما تخرجت أن يكلم الدكتور حافظ عفيفى أن يعيننى كمحام فى بنك مصر ، فإذا أبى يقول فى تعفف لم أعرفه فى غيره .

ــ هل تتصور أن أرفع سماعة التليفون لأقول لأى شخص عين ابنى ؟

وخجلت من نفسى وأنا أقول :

ــ لا . . . لا أتصور .

وهكذا ضعت أنا بين كبرياء أبي وعبقريتي وظللت خمسا وعشرين سنة بلا وظيفة ، وهأنذا أذهب إلى الإسكندرية لأول مرة موظفا فهل تراني أستطيع التمتع بالإسكندرية كما تعودت أن أتمتع ؟ تلك تجربة جديدة لا بد أن أمر بها حتى أستطيع الإجابة على هذا التساؤل .

فقد تعودنا منذ سنوات طويلة أن نجلس على مقهى داخل الأمواج ، وليس الجلوس على كراسي وإنما هو تحريك الأرجل واليدين بالصورة التي تبقى على جسومنا طافية . وأعضاء المقهى هم الدكتور الدمرداش أحمد وكيل وزارة الصحة السابق وعضو مجلس النواب ومجلس الأمة السابق أيضا ، فقد خرج من مجلس الأمة إلى المعتقل وأصيب فيه بأزمتين في القلب . وظل في المعتقل مع ذلك وكل هذا لأنه تجرأ فناقش نقاشا جادا في أمر هو فيه متخصص وهو الطب الوقائي .

وأما العضو الثالث فهو الدكتور إبراهيم الدمرداش — ولا قرابة بين الرجلين والدكتور إبراهيم الدمرداش رجل ذو شهرة واسعة في عالم الهندسة ، وقد كان عميدا لكلية الهندسة وهو واسع الثقافة بشكل يدعو إلى الذهول .

والحديث في الندوة شعر من محفوظ الدكتور الدمرداش أحمد فهو من هواة الأدب الفطاحل ، أو ذكريات من ذكرياته فصلاته الاجتماعية متسعة تشمل العالم أجمع لا أستثني منه قطرا .

ويروي الدكتور إبراهيم شعرا من شعره فهو عضو في المجمع . ثم ينتقل بنا الحديث إلى الأزمة الاقتصادية حتى إذا فرغنا منها وحللناها انتقلنا إلى حل أزمات البلاد الأخرى مثل إنجلترا والأزمة الاقتصادية بها وإيطاليا والأزمة السياسية التي تعانيها . فإذا قضينا على هذه الأزمات

جميعا وأصبحت محلولة فى أمان اللّه ضربنا فى الماء ذراعا أو ذراعين وخرجنا إلى ملابسنا على موعد لقاء فى اليوم التالى .

وحين نلتقى نتبين أن هناك بعض الفروع من الأزمات لم نتعرض لها فى أمسنا فنتناولها بالتمحيض ثم بالتشخيص ثم بالدواء ، فتنحل الأزمة بين أيدينا بقدرة قادر .

وهكذا نقضى صيفا هانئا على مقهى بين الأمواج . . أترى تتيح لى الصفحة الأدبية التى لا بد أن أعرف محتوياتها كلمة كلمة ، والمفكرة التى لا مفر من كتابتها كل أسبوع ، أن أقضى صيفا مثل الذى كنت أقضى . وإن لم فمن إذن سيحل مشاكلنا الاقتصادية ومشكلة لندن وإيطاليا وما يستجد من مشكلات فى أثناء الموسم ؟ لا سبيل لنا إلا أن نترك الأمر بكامله لله الذى لا يغفل ولا ينام سبحانه على كل شىء قدير .

القرية وخطبة الجمعة :

كنت أظن أن إخواننا الفلاحين سيعتمدون على الراديو الترانزستور الذى انتشر فى القرى انتشارا هائلا فى معرفة دينهم . ولكن العجيب أنهم مازالوا يعتمدون على خطباء الجمعة فى معرفة هذه الشئون . وبعض هؤلاء الخطباء علماء حقيقة تلقوا علومهم فى الأزهر الشريف وتمكنوا من أصول التشريع الإسلامى . ولكن بعضهم يخطب لأن أباه كان يخطب الجمعة ، ولقد سمعت أحد هؤلاء يدعو أن يؤيد اللّه السلطان فؤاد ويعز ملكه وينصر جنده . وكان هذا فى عام ١٩٦٥ .

لعل هؤلاء الخطباء فى حاجة إلى كتب حديثة تكون فى متناول اليد زهيدة الثمن . وما أعظم أن يؤلف هذه الكتب علماء من فقهاء الوعظ الأئمة .

ولا بأس حتى أن توزع مجانا دون أى إلزام بالقراءة منها فى الخطبة ، وإنما تترك لمن يريد أن يستعين بها .

إن هذه الكتب لو قام عليها الأزهر الشريف أو وزارة الأوقاف تجعل شرح القرآن الكريم وتعاليمه فى أيد أمينة عليه ، فإن الأمر أخطر مما نتصور إن هو ترك لمن لم يتعمق فى الدين الحنيف والقرآن والسنة .

إنه لا بد للناس جميعا أن يكون الحرام عندهم واضحا والحلال بيناً . ولا بد لهم أن يعرفوا رخصهم وأن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه .

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بأمر الذين يشرحون الدين اهتماما بالغا ويكفى أن نذكر حديثه الشريف :

« من أحل حراما أو حرم حلالا فليتبوأ مكانه من النار » لنعرف مدى اهتمامه بأن تعرف قواعد الدين على حقيقتها بلا تضييق يمسك بخناق الناس ، ولا توسعه يحلل الحرام ويهدم القيم .

هذا رجاء أضعه أمانة تحت أعين الأئمة واثقا أننى ناديت مجيبا وأسمعت أمينا .

تحية وعتاب للإذاعة :

من أحسن البرامج التى أعجب بها فى الإذاعة برنامج ثقافى درامى يذاع فى البرنامج العام اسمه من الأدب العالمى . يختارون فيه قصة لأديب عالمى ويقدمونها بعجالة موجزة عن حياة الكاتب ، ثم يقدمون القصة وقد أعدت إعدادا دراميا أجده أنا فى غاية الجمال والإتقان .

إذن فالإذاعة تعرف كيف تكون الدراما رائعة . وهى لا شك تدرك جمال اللغة العربية فى الأذن فهذه القصص تعد باللغة العربية .

العجيب إن البرنامج العام الذى يقدم هذا ، نسمع له تمثيليات لا شك أن مؤلفيها يجهلون الفن الدرامى جهلا تاما . فالحوار مباشر دائما والنصيحة تخبط النصيحة والحكمة تصك الحكمة والذى كنا تعلمناه أن الدراما والقصة والرواية جميعا قد صنعت لتنقذ الناس من النصائح والحكم . فإذا ذكرت النصيحة أو الحكمة فى العمل الفنى سقط العمل الفنى جميعا كأنه لم يكن . والمؤلم أننا كثيرا ما نجد هذا التهافت فى المسلسلات التى تستمر شهرا . . وهذه المسلسلات تحظى باهتمام كبير من المستمعين وما أجمل أن ننتهز هذه الفرصة لنقدم للناس عملا فنيا مرتفعا يستطيع أن يرتقى بالذوق العام .

ولست أدرى لماذا تقتصر التمثيليات الإذاعية على اللغة العامية فيما عدا برنامج من القصص العالمى . ألا تستطيع أن تقدم أيضا من القصص العربى ، ونجعل الناس يسمعون لغة عربية بعد أن كادت تكون غريبة عليهم ؟ إنه مجرد أمل فهل إلى تحقيقه من سبيل .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٦٩٤

١٥ يوليو ١٩٧٦

ويل للتاريخ من هؤلاء المؤرخين

فى زميلة صباحية كتب الدكتور عبد العظيم رمضان مقالا يقول فيه : إن ما نراه الآن من ابتذال وعنف وانحرافات ، إنما تفرضه بقوة واقتدار أوضاع العلاقات الإنتاجية فى المجتمع . . وإننا لا نستطيع أن نغير قيم المجتمع إلا بتغيير علاقاته الإنتاجية .

ثم راح يضرب المثل على ذلك أن قيم الامتلاك للمال أو العقار ، خلقت مجتمع الجنس الجماعى وتبادل الزوجات .

أما النظام الاشتراكى الذى تسوده علاقات الملكية العامة للشعب ، فمن الطبيعى أن تختفى منه قيم الامتلاك لحد بعيد ، وأن تختفى معها الأمراض الاجتماعية الناشئة عنها . . ولا غرابة أن تختفى جرائم الجنس والرشوة والتلاعب بأقوات الشعب ، وخلو الرجل ، وتشتد القوانين فى ذلك حتى تصل إلى الحكم بالإعدام . .

أما بالنسبة للنظام الاقتصادى الإسلامى حيث المال مال اللّه ولكل إنسان حق فيه وليس لأحد أن يستأثر (هكذا يقول المورخ الأمين) وتختفى منه بالتالى العلاقات الرأسمالية المستغلة فمن الطبيعى أن يفرز قيما أخرى يتضمنه قانونه الأعظم وهو القرآن الكريم .

ويسوق الأستاذ الجليل رأيا فريداً أن مصادرة الأموال حق على كل زيادة غير معقولة فى الأموال ، حتى ولو كانت لمجرد الشبهة كما فعل عمر مع سعد بن أبى وقاص وخالد بن الوليد وأبى هريرة وعمرو بن العاص إذ أخذ نصف أموالهم دون مقابل وضمها إلى بيت المال .

ثم يزداد الدكتور إيغالا فيها ذهب إليه قائلا بأن أصحاب الفضيلة في بلادنا يشنون غزوات دون كيشوتيه ضد الشيوعية غافلين ــ كما يرى ــ أن الشيوعية هى التى تحمل روح الإسلام وتعاليمه .

ذلك هو مجمل ما قال الأستاذ الدكتور المؤرخ ، وأنا الآن حائر معه . بأى أسلوب أجيبه . هل آخذ كلامه مأخذ الجد وأفنده بما يعرفه . أم أضحك منه وأترك كل مسلم وغير مسلم يشاركنى فى الضحك .

فبناء على رأى الأستاذ أصبح حتما علينا أن نسميها روسيا الإسلامية لا روسيا السوفيتية . وحتما آخر علينا أن نولى وجوهنا نحن المسلمين شطر الكرملين ليكون قبلتنا بدلا من الكعبة التى يلتف حولها أولئك الذين يحاربون الشيوعية عن غفلة منهم بما تحمله تعاليم الكرملين من إسلام .

المجتمع الرأسمالى فاسد وما شأن هذا بتعاليم الإسلام ؟ ثم إننا نعرف فساده لأنه ينتقد نفسه حتى لنعرف كل خافية من أمره ، أما المجتمع الشيوعى فيغلق ومن يتنفس فيه بكلمة حق فمصيره الموت أو الطرد أو التشريد أو الهوان . ولو قلنا إن الكتاب مثل يسترناك وسلجستير ينشدون الحرية كل الحرية وأنهم ليسوا المقياس الذى يعتمد عليه ، فماذا نحن قائلون عن ساخاروف أبى القنبلة الذرية الذى وصف المجتمع الروسى وصفا أقل ما يقال فيه أنه يتنافى أو يتجافى مع وصف مؤرخنا المصرى الصميم .

وهل صحيح أن غريزة الامتلاك محيت من النظام الاشتراكى ، فماذا عن حمام السباحة المغطى ذى الماء الدافئ الذى كان يملكه خروشوف ؟ وماذا عن رئيسهم الآخر الذى يهوى جمع السيارات وكأنها طوابع

بريد ؟. وماذا عن الامتيازات الطبقية التى ينعم بها أعضاء الحزب بصورة لا مثيل لها فى أعتى الدول الرأسمالية .

وما حكاية عمر هذه ؟ ؟ هل أنت مؤمن بها حقا أم هو تحطيم لكل شريف رفيع من مثلنا . إن ما طبقه عمر هو قانون « من أين لك هذا ؟» وطبقه على عماله وبالطريقة التى رأى عمر أنها عادلة ، والتى لم يكن لها بديل فى ذلك العهد . أما لو كانت الأموال تصادر لمجرد أنها زائدة لصادر عمر عبد الرحمن بن عوف الذى ترك ذهبا كان يقسم بالفؤوس ووزع على أولاده العشرة أو الأحد عشر — لا أذكر — فأصبحوا جميعا أغنى أغنياء العرب ولم يصادرهم عمر . وأنت مؤرخ وتعرف خطبة الوداع « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم . . » وأنت مؤرخ ولابد لك أن تكون قد قرأت وما بى حاجة أن أذكرك . . ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ (سورة الزخرف) ادع إلى الشيوعية أيها الأستاذ ما شاءت لك أمانتك العلمية أن تدعو ، ولكنى أستحلفك ولا أدرى بماذا ولنقل بربك ماركس وبنبيك لينين أن تدع الإسلام وتبحث لك عن طريق إن كان هناك لك طريق .

وقبل أن أنهى حديثى هذا إليك لى سؤال :

إن كان الإسلام حافلا بتعاليم الشيوعية ففيم أتعب ماركس نفسه . ومن بعده لبنين . وفيم قتل ستالين أحد عشر مليونا من الكادحين من الشعب الروسى ليثبت دعائم الشيوعية ؟ ألم يكن ماركس قد درس الإسلام فيما درس من شرائع ليضع نظريته التى تنفى الفرد عن الحياة نفيا

تاما ؟ وإن كان قد درسه ووجده كما ترى شيوعيا فى روحه ومجتمعه فلماذا احتاج إلى إنشاء نظرية جديدة ، لماذا لم يدع إلى الإسلام فتحل المشكلة ونحقن الدماء ؟ وعلى أية حال إن الوقت لم يفت . يستطيع الأستاذ المؤرخ أن يدعو إلى مجتمع إسلامى ويترك المجتمعات الملحدة دون أن يحتاج إلى هذا التعسف فى استخلاص النظريات وتحميل الوقائع التاريخية بما لم يخطر على بال أنها ستحمله .

تحية إلى طالب أديب :

.. جاءنى خطاب من الطالب الأديب أحمد عبد المنعم القاضى . وكم أنا شاكر له أن أرسل هذا الخطاب . فإن مثل هذه اللغة وهذا الإلمام بالأدب ـ العربى والثقافة عامة تجعل ظلام اليأس الذى يملأ نفوسنا يتعم بشعاع من الأمل أن بين الشباب من هو على وعى حقيقى بأدبه وبدينه وبثقافة بلاده وثقافة عصره .

وإنى أريد أن أهمس فى أذن أديبنا الشاب . ما إليك قصدت حين قلت إن الشباب يحتاج إلى من يبسط لهم دينهم عن طريق العلم الذى يقبلون عليه . فلو كان الشباب جميعا مثلك لوجدوا هم طريقهم دون تبسيط . إنما أنا أقصد تماما ذلك الشباب الذى جعل فيلما مثل « خلى بالك من زوزو » مستمرا فى العرض لمدة تزيد على ١٣ شهرا ، ذلك الشباب الذى لا يعرف أن ابن النفيس ـ كما ذكرت ـ هو مكتشف الدورة الدموية ، والذى لا يعرف أيضا أن ابن حيان هو أول الباحثين فى الكيمياء الحديثة ، والذى لا يعرف الصلة بين الكرسى وآية الكرسى .

فأنت أيها الأخ الأديب لا تمثل جيلك . أستطيع أن أتبين هذا من معلوماتك ومن لغتك على السواء . ولعلك تتفق معى فى الرأى إذا عرفت أن خطابك هو أول خطاب يصل إلىّ من طالب جامعى ليس فيه خطأ إملائى ولا خطأ نحوى مما جعلنى أقرأه عدة مرات فرحا به باعثا فى نفسى كما قلت فى أول حديثى إليك شعاع أمل فى ظلام يأس .

وكما كنت تريد أن تضحكنى بأمثلتك دعنى أضحكك بمثال من هذه الخطابات . فقد جاءنى البريد منذ أيام بخطاب شديد اللهجة يهاجمنى أنا ونجيب محفوظ ويوسف إدريس ، ويقول إننا جميعا نكتب ونظرنا إلى السينما فهو لا يعجب بها وأن هذا شأنه مع كتب نجيب ويوسف جميعا ثم هو يتساءل فى جدية : أين أيها الأساتذة القصص البوليسية ولماذا لا تكتبونها لو أنكم حقا جادون ؟

واللغة طبعا من عندى فلا شك أنك أدركت أنه لم يستطع أن يقيم سطرا واحدا دون خطأ إملائى أو لغوى .

هذا الشباب الذى لا يعرف قيمة الرواية البوليسية فى أدب الرواية هو يا أخى النموذج الذى أتحدث عنه ، ومرة أخرى أحييك .

لا بد للقانون أن يستقر :

.. قرأت خبرا هذا الأسبوع أن هناك اتجاها جديدا إلى تغيير قانون الجمارك بالنسبة للسيارات بعد أن تبين للمسئولين أن القانون الحالى يتيح فرصة لبعض الناس أن تشترى بغير سبب .

وقد يكون ما تبين للمسئولين صحيحا . ولكن لماذا لم يقدر المسئولون هذا حين وضعوا القانون بادئ ذى بدء . إن الشرط الأول فى

القانون أن يتمتع بالدوام والاستمرار . وكثرة تغيير القوانين معناها أننا نعيش فى بلد بلا قانون على الإطلاق .

وإن بقاء القانون مع استغلال بعض الناس له خير ألف مرة من تغييره فى كل شهر مرة .

إن مثل هذه القوانين تمثل اقتصاد البلاد والحالة القانونية فيها . ولا يمكن أن نتصور أموالا تأتى إلينا وهى تشعر أنها قادمة إلى بلد لا يستقر فيها القانون على حال .

إن المشرعين عندنا يعرفون تماما معنى أن يتغير القانون . ومهما يكن الضرر المتحقق من قانون ما فإنه أقل أثرا من الاضطراب العام الذى يجعل المال الأجنبى مذعورا فهونا ما فليس الأمر بهذا القدر من السهولة . إنه مستقبل شعب بأكمله . ولابد أن يعى المسئولون الذين يغيرون القوانين أى خطر يشيع من هذا التغيير الذى لا تبدو له نهاية .

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٢٥
١٦ يوليو ١٩٧٥

(عندما يلوى الناقد لسانه)

هناك

فئة من الناس تتعالى على أدبنا وموسيقانا وفنوننا التشكيلية ، فالأدب متأخر ساذج ، وأين القصة عندنا والرواية من القصة أو الرواية الأوربية .. وأين الموسيقى العربية المتأخرة من السيمفونيات والموسيقى الغربية الرفيعة . . وأين الرسامون من أعلام الفنون التشكيلية فى العالم المتحضر ؟

هؤلاء الناس ضعاف . لا ثقة عندهم ببلادهم ولا بتراثهم . وهم حتى فى تقديرهم للفنون الغربية مقلدون وليسوا أصلاء . فإننا نستطيع أن نعجب بالفنون الغربية ولكن الذى لا شك فيه أننا لا نستطيع أن نصل من أعماق هذه الفنون إلى المدى الذى يصل إليه أبناء بيئتنا الذين تقدم لهم هذه الفنون .

فكل فنان هو فى الحقيقة نبت البيئة التى ولد بها ولا يستطيع أن يعرف القيمة الحقيقة لفنه إلا أبناء بيئته .

وحين أقول البيئة لا أقصد دولة وإنما أقصد البيئة العامة التى تسود المجتمع العربى من شرقه إلى غربه .

ولكن الكارثة الحقيقية التى منى بها أدبنا أن نجد بين نقادنا من يلوى لسانه باللغة الأجنبية وهو ينقد أعمالنا المصرية رافضا تماما ما نقدمه ، عاقدا دائما المقارنة بين أدبنا وبين الأدب الغربى .

والأمر الذى لا شك فيه أن هذا الناقد لم يستطع أن يتعمق أسرار الفن الأدبى العربى ولا الفن الأدبى الغربى .

فهو يرفض تراثه ويرفض وطنه وينظر إلى تراث أجنبى ووطن غربى . ولكن التراث الأجنبى غريب عنا والوطن العربى هو الذى يرفضه فى هذه المرة لأنه ليس منه ولا يستطيع أن يقبل حكمه على أدبه ولغته بنفس الثقة التى يقبل بها حكم الناقد الغربى على أدب بلاده ولغتها .

هذا الناقد مسكين . لا هو متمسك بأصوله وبيئته وعروبته ولا هو استطاع أن يلحق نفسه بالأدب الذى يريد أن ينتمى إليه ويرتمى بين أحضانه .

إن القصة والرواية والمسرحية عندنا نظرت ــ على طول طريقها ــ إلى الأدب الغربى وأفادت منه ولكن مع طول الممارسة أصبحت هناك قصة مصرية عربية ومسرحية مصرية عربية ولو أن المسرحية المصرية هى الغالبية .

فحين كتب الدكتور محمد حسين هيكل رواية زينب ، وحين كتب تيمور الكبير ولا شين القصة ، وحين كتب أستاذنا توفيق الحكيم المسرحية أطال الله عمره . . لم يكن هناك أصول ينظر إليها هذا الرعيل الأول إلا الأصول الغربية .

ولكن حين أخذت الرواية مسارها بعد ذلك على يد طه حسين وتوفيق الحكيم والمازنى وجاء الجيل التالى من نجيب محفوظ ومحمد عبد الحليم عبد الله والسباعى وعبد القدوس والشرقاوى ، ومن محمود تيمور ومن بعده يوسف جوهر ومحمود البدوى وأمين يوسف غراب أصبح للرواية والقصة المصرية العربية تراث . وإن كان الشأن فى المسرح غير

الشعرى مختلفا . فالذين تأثروا بمسرح الحكيم الشاهق أنتجوا مسرحيات باللغة العامية ، ولا نكاد نرى من سار حتى دربه من الجيل التالى له إلا على أحمد باكثير .

إن الناقد المتفرنج يقف من الإنتاج الضخم الذى قدمه هؤلاء جميعا وغيرهم من جيلهم وممن تلاهم موقفا متعاليا مقارنا فى لسان ملتو بلغة أهل الفرنجة رافضا أو شبه رافض دون حتى أن يكون عادلا فى حيثيات رفضه .

ولهذا لم يكن غريبا أن يرفض القارئ مثل هذا الناقد . فالكتاب المصريون عرب ويكتبون لمصريين عرب واللغة بينهم واحدة والمنبت واحد والبيئة هى نفس البيئة . فمن يتعالى على بيئته لابد أن يقبل الجزاء الطبيعى وهو أن ترفضه بيئته .

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٢٩
٢٠ يوليو ١٩٧٦
من مفكرة ثروت أباظة

عاشق الليل

سبحان الخالق العظيم جعل كل فرد من الناس نمطا مستقلا بذاته له مشاعره الخاصة وشكله الخاص وأفكاره التى تتخلج فى أعماق نفسه ، لا يعرف أسرارها إلا الخالق سبحانه . ثم جعل لكل إنسان بصماته الخاصة التى لا يتماثل فيها اثنان فى العالم . كأن هذه البصمة هى توقيع لفنان انتهى من عمله الفنى .

من هذا الشتات من الأفكار ومن المشاعر ومن التركيب الخِلْقى والخُلقى تتكون الشعوب ومن هذه الشعوب تتكون البشرية .

فكل نظرية لا تدخل فى حسبانها أن للإنسان مشاعر ورغبات وآمال وآلام وعواطف تضطرب بين الحب الجارف بلا حدود والكره القاتل لا يرده شيء ، ـ نظرية لم تخلق للإنسان وقد تصدق على الآلة الصماء بلا مشاعر لها ولا آمال ولا آلام .

فى قريتى أنماط الناس على كل صنف ولون . ولكن بعض أشخاص لا يستطيع النظر أن يعبرهم بغير إنعام وتمعن .

عبد الحليم حسون : عرفته أول ما عرفته خفيرا نظاميا فى القرية . وكان عمدة القرية معجبا به أشد الإعجاب فهو أول من يتسلم سلاحه فى صفار الشمس وهو آخر من يسلمه بعد أن يصلى الفجر .

ولا يأتى جزء من الليل على عبد الحليم إلا وهو يقظ لا ينام . فعبد الحليم يحب الليل ولا يطيق أن يفلت منه لحظة دون أن يعيشها بأكملها ،

بأعماقها جميعا ، ويستمتع بكل ما فى الليل وهو يستمتع بالليل علـى أى صورة له فهو يحبه أسود قاتم الظلمـة معتمـا . وهـو يحبـه والنجـوم علـى صدر سمائه . وهو يحبه والقمر يحيله إلى هذا اللون الأزرق الذى يشيع فى النفوس الحب للحب والهوى للهوى والشفافية الشاعرة الرقراقة . ويسعد بغلالة القمر نسجتها يد الفنان الأعظم . ويلقـى عبـد الحليـم نفسـه فـى هذه الغلالة سعيدا لا يدرى لسعادته سـببا ولا يريـد أن يـدرى . وكأنمـا أدرك بحسه البدائـى الصـادق أن التغلغـل فـى أسـباب السـعادة يدمـر السعادة . إنما هى لحظة إشراق تومض فهو بها فـى نشـوة ولا يعنيـه مـن بعد من أين جاءت هذه الإشراقة ، وكم سـتمكث ومتـى ستولى عنـه ، وإنما هو يلقى نفسه إليها فالدنيا جميعا هى لحظته تلك وليكـن بعـد ذلـك ما يكون .

وما عرفـت فـى حيـاتى شـخصا يقـدس الحريـة مثلمـا يقدسـها عبـد الحليم .

أحب وتزوج وأنجب بنتا . وما أن جاءت البنت حتى تكشفت زوجة عبد الحليم على حقيقتها . لقد أرادت أن تفرض سيطرتها عليه فلا يفلت إلا من يدها ولا يخرج إلا بإذنها ولا يصادق إلا بأمر منها .

واتخذ قراره الحاسم .

الوقت شتاء ولكن لا يهمه . وهو يسـهر الليـل كلـه فـى درك الخفـر وللجسم حقوق لابد أن تؤدى . . فإذا خرج من بيته فإلى أين يأوى ؟

لم يفكر ، كان قد اتخذ قراره .

لم يعد بعد ذلك إلى بيته والتمس من حقل شـجرة ونـام . وأصبحـت الشجرة بيته .

وحاولت الزوجة أن تسترده بكل الوسائل التى تعرفها المرأة فلم تفلح ، فحاولت أن تسترده بالوسائل التى تعرفها القرية ففشلت .

— إن ما بينى وبينك ورقة الزواج أستطيع أن أجعلها فى أى لحظة ورقة الطلاق ، وأنا لا أريد أن أفعل هذا من تلقاء نفسى من أجل بنتنا ، لن أطلقك إلا إذا طلبت هذا .

— عد وافعل ما تشاء .

— إن المرأة التى تحب أن تسيطر لا تصلح لى .

— قلت افعل ما تشاء .

— أنا لا أريد إلا أن أكون حرا .

— فكن حرا .

— لن أكون حراً إلا وأنا بعيد عنك . .

— وبيتك ؟

— ما دمت فيه فهو ليس بيتى .

— وأنا كيف أعيش ؟

— هذا شأنك ما دمت تعرفين كيف تسيطرين فلابد أنك تعرفين كيف تعيشين .

— وبنتك ؟ !

— لن ينقص ابنتى شىء إلا أن أكون أنا موجودا .

— أنت تعرف كم تحبك .

— أنا طول الليل فى الدرك تستطيع أن تأتى إلى عندما تشاء . وهى تعرف كيف تجدنى دائما .

— أليس هناك أمل ؟

ـ أما أنا فأملى كله أن أكون حراً وقد صرت حراً .

وهكذا اتخذ عبد الحليم قراره ونفذه ولم يجد معه حديث زوجته ولا شفاعة أصدقائه . ولم تجد زوجته سبيلا إلا أن تلجأ إلى العمدة تستعينه على زوجها .

ـ ارجع يا ولدى إلى زوجتك .

ـ وما دخل هذا فى عملى يا حضرة العمدة ؟

ـ إننى آمرك .

ـ سعادتك تستطيع أن تأمرنى بما شئت فيما يتصل بعملى أما ما يتصل بزوجتى فلا يأمرنى أحد .

ـ حتى ولا أنا .

ـ وما دخلك أنت يا حضرة العمدة فيما بين الزوج وزوجته .

ـ أنا عمدة البلد يا ولد . . هل جننت ؟

ـ يا حضرة العمدة أبقى الله عليك العمدية . ولكن هل تستطيع بالعمودية أن تجعلنى أقبل زوجتى . . وإذا كانت كريهة إلىّ هل تستطيع أن تجعلها حبيبة يا حضرة العمدة ؟ الله وحده هو الذى يملك القلوب .. والصلة بين الزوج والزوجة لا يعرف أسرارها إلا الزوج والزوجة . إنها صلة لا مثيل لها فى العالم ولا تكون بين اثنين آخرين أبداً فلا هى نفس الصلة بين الابن وأبيه ، ولا هى الصلة بين الابن وأمه ، ولا بين البنت وأمها .. صلة عجيبة أنشأها سبحانه على نظام خاص فكيف تتصور أن تتدخل فيها بأوامرك يا حضرة العمدة ؟

ـ اللّه .. اللّه .. اللّه .. ما كل هذه الفصاحة ؟

ـ ولكنى على حق .

ـ إذن فأنت مرفوت .

ـ سبحانه .. لا يترك أحداً جائعا .

لم يكن المرتب يعنى عبد الحليم .. فهو يعرف أنه سيعيش ولكنه حزين أنه حرم من الليل .. ولم يدم حزنه طويلا .. لقد كنت أسهر لأنى خفير فماذا بى لو سهرت لأنى حر . سيضحك منى الناس . ولكن ما شأن الناس بى ؟ لقد رفتنى العمدة لأعود إلى بيتى ولكن ما الحرية إذا أنا لم أغتصبها اغتصابا .

ومنذ ذلك اليوم وعبد الحليم لا ينام فى البيت أبداً . فى الشتاء العاصف والريح تعوى فيختلط صوتها مع صوت الذئاب ، والمطر ينهمر فيدق الأرض وكأنه عديد من العصى الغليظة ، وطرقات القرية وحقولها لا يبدو فيها أنس أو وميض من نور ، تجد عبد الحليم فى العراء كل ما فعله لنفسه ليتقى لذعة البرد كيس فارغ من أكياس القطن مبطن بقش الأرز يغمر عبد الحليم نفسه فى داخله وينظر إلى الليل . فهو يحبه أيضا حين يعصف وينهمر مطره وتعوى ذئابه ورياحه .

وتمر الأيام لتصبح سنوات وتكبر ابنة عبد الحليم ويأتى لها من يريد الزواج بها ، وتتزوج فى بيت عبد الحليم مع زوجها حتى لا تترك أمها وحيدة .

وتمر أيام أخرى وتموت زوجة عبد الحليم .

وتقصد البنت إلى أبيها .

ـ أبى قد كبرت ولم تعد تستطيع أن تظل على هذه الحال .

ـ وما هذه الحال ؟

ـ تحتاج إلى لقمة طيبة وهدمة نظيفة ونومة هادئة .

ــ أما اللقمة فأنا كما تعلمين لا يغريني الطعام ، وأما الهدمة ...

ــ أعرف .. أعرف إنك أنظف إنسان في القرية ، ولكنك يا أبي أنت الذي تغسل جلبابك كل ليلة .

ــ من يريد أن يكون حراً لابد أن يكون نظيفا .

ــ والنومة الهادئة .

ــ أتحسبين يا ابنتي أنني أنا في العراء لأني لا أجد بيتا .

ــ أتحب أن تنام في العراء ؟

ــ قولي لي .. كيف أعيش منذ تركت الخدمة ؟

ــ تؤدي الطلبات لأصدقائك في البلاد الأخرى وفي البندر مقابل أجر ضئيل .

ــ يكفي لقمتي وسيجارتي .

ــ وما شأن هذا بنومك في العراء ؟

ــ هل أعدم سقفا عند أصدقائي هؤلاء . إنما أريد أن أرى الليل وأقيم فيه ، إنه يخيل لي أن الليل نفسه لا ينام إلا إذا رآني أنام تحت سمائه .. أنا يا ابنتي مخلص لأصدقائي كما تعرفين .. الليل هو أحب أصدقائي إليّ وهو أيضا أوفى الأصدقاء لي .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٣٢
٢٣ يوليو ١٩٧٦

(الأدب الحديث والتراث)

الرواية والقصة والمسرحية ألوان وافدة إلى الأدب العربى ، واعتقادى أن واجب الأدباء المحدثين أن يثبتوا هذه الألوان الوافدة فى الأدب العربى .

وقد قال الدكتور زكى نجيب محمود فى حديث رائع له : إنه لا يكفى أن تنادى بتثبيت الألوان الوافدة ، وإنما لا بد أن تعمل على ذلك بأدبك أنت الذى تنشئه .

فحين نظم شوقى مسرحياته الشعرية ضرب المثل لمن يشاء أن يتبعه فى الوسيلة التى يمكن بها تثبيت المسرحية على أصول من تراث الشعر العربى .

وتطورت الفكرة عند عزيز أباظة ، فبعد أن كان الشعر هو أهم ما يعنى شوقى به فى المسرحية ، وجدنا عزيز أباظة يمنح البناء المسرحى اهتماما يكاد يتساوى مع اهتمامه بالشعر ، ثم جاء عبد الرحمن الشرقاوى فاعتمد على اللفظ العربى وعلى التفعيلة الواحدة فأصبح الشعر أكثر طواعية له ، وتبعه فى ذلك صلاح عبد الصبور فأصبحت المسرحية الشعرية مطمئنة الأصول فى الأدب العربى .. أو هى على الأقل أكثر اطمئنانا من المسرحية النثرية التى وضع أسسها أستاذنا توفيق

الحكيم ، و لم تجد من يسير فى الطريق الذى أنشأه إلا علـى أحمـد باكثير فى بعض مسرحياته .

ولكن أين هذا مما كان يؤلفه أستاذنا الرائد توفيق الحكيم ؟

لقد وجد من يقلده فى التمثيلية العامية ، ولكنه لم يجد من يسير علـى نهجه وخطاه فى التمثيليـة العربيـة التـى تجعلهـا تثبـت فـى اللغـة العربيـة وتعمق رواسيها وتشتد سواعدها .

أما فى القصة والروايـة ، فـإن الأمـر مختلـف فـإن أغلـب الذيـن رادوا طريقها اختاروا اللغة العربيـة فـى السـرد ولـو أن بعضهـم آثـر أن يكـون الحوار عنده باللغة العامية .

وهم أيضا حين اختاروا السرد العربى لم يعتن كثير منهم بحلاوة اللغـة ونغمتهـا الموسيقية . ولسـت أعنـى طبعـا أن يكتبـوا روايـاتهم بلغـة المنفلوطى ، ولكن الذى أعنيه أن يكـون اهتمـامهم بجمـال اللغـة الجمـال الذى يتواءم مع عصرنا وذوقه الأدبى .

وهذا لا يأتى إلا بالمعرفة الكاملة باللغة العربية وبحواسها وموسـيقاها وأثر كل لفظة من ألفاظها فى الأذن والنفس .

ومن عدم الاهتمام باللغة نشأت طائفة من النقاد تنادى بإسقاط اللغـة العربية واللفظ العربى والجمـال الأسلوبى ، مدعـين أن جمـال الأسـلوب يقف حائلا بين القارئ وبين أعماق القصة . واللجوء إلى هذه النظريـات الهلامية يجعل مناقشتها مخيفة لمن لا يعمل فى الميـدان . ولكـن لعـل أيسـر وسيلة للنقاش هو ضرب الأمثلة . فمثلا نجد نجيـب محفـوظ يهتـم باللغـة ويبقى على الحوار عربيا دائما ، ومع ذلك فالقـارئ يفهـم عنـه مـا يريـد وينفذ فى يسر إلى أعماق أعماله الفنية .

فالقضية إذن عند هؤلاء النقاد لا تزيد عن رغبة جامحة فى تحطيم اللغة العربية لغرض فى نفس اليعاقيب ، إذا صح هذا الجمع لكلمة يعقوب ذى الغرض .

ومن ذلك فهم يرهقون أنفسـهم ويحملونها مـالا تطيـق . فـإن اللغـة العربية باقية وإن رغمت منهم الأنوف ، والعنصر الجمالى فى الفن الأدبى سيظل عنصرا أساسيا مهما يرجف به المرجفون .

ثروت أباظة

الأهرام ــ العدد ٣٢٧٣٦

٢٧ يوليو ١٩٧٦

لبنان . . دولة تنتحر !

حين اغتصب أبناء صهيون أرض فلسطين العربية أنشأوا بذلك جريمة لم يعرفها العالم منذ اغتصب أبناء أمريكا أرض الهنود الحمر ، مع فارق كبير . كان الهنود الحمر آنذاك شعبا متأخرا عن ركب الحياة واستطاع الوافدون من طريدى الشعوب وسفاحيها ولصوصها أن يأخذوا منهم أرضهم غصبا وعنوة ، ولكنهم مع ذلك لم يشردوهم فى أقطار الأرض وسمحوا لهم بالبقاء وإن كان بقاء مفزعا أسقطوا فيه كرامتهم وامتهنوا إنسانيتهم .

أما اليهود فقد استلبوا الأرض العربية بعون من الدول الكبرى ، وبالخداع وبالسلاح وبكل وسيلة بعيدة عن كل معنى من معانى الشرف أو الخلق .

وشرد أبناء فلسطين فى عرض الحياة وتكون شعب بلا مأوى .

ولكن لماذا ننتظر من اليهود غير ذلك وهم أعداء للعرب منذ ظهور الإسلام . كانوا طوال تاريخهم الأسود عونا على النبى ودينه ثم حربا على أتباع النبى ودينه .

والغدر من العدو أمر منطقى لا يدعو للدهشة .

وليس أمر الدول الكبرى بمختف عن أمر الصهاينة . فهم لم ينسوا عداءهم للعرب ومازالت فى نفوسهم منه غصة لا تنقضى أبد الدهر . لعل الموقف الوحيد الذى يدعو إلى الدهشة هو تأييد دولة تلغى فكرة

الدين من أساسها . ولكنها مع ذلك تقبل أن تقوم دولة العماد الأول فيها والأخير هو الدين اليهودى .

ولهذا فقد كان عجيبا أن تكون روسيا هى ثانية الدول التى تعترف بقيام دولة إسرائيل بعد أمريكا .

وعلى أية حال فالغدر من العدو أمر طبيعى .

ولكن الأمر العجيب هو غدر الأخ بأخيه واللبنانى باللبنانى والعربى بالعربى .

كيف استطاعت نفوسهم أن تقبل هذا الإفناء لأهلهم وذويهم ودولتهم . من ينتقم مِنْ مَنْ ؟ ومن ينتقم لِمنْ ؟

قومى همو قتلوا أميم أخى فإذا رميت أصابنى سهمى

هناك أيد خفية . وهى أيد ثقيلة تحركها أكبر دولتين فى العصر الحديث ولكن كيف استطاعت هاتان الدولتان أن تحرضا شعبا أن ينتحر .

من يستطيع أن يتصور أن تخطط أمريكا لتمزيق لبنان وتقدم روسيا السلاح لينفذ به تخطيط أمريكا ؟ الدولتان اللتان تقفان على طرفى النقيض من العالم تتفقان ، ثم يتبلور اتفاقهما أول ما يتبلور على لبنان وشعب لبنان ؟ ويدفعان الشعب السورى ليكون أداتهما معا وهما لا شك قد أغرياه أن يأخذ جزءا من لبنان بدلا من الجولان . ويستطيع بذلك زعماء سوريا أن يقيموا الأفراح ويطلقوا الحناجر بالخطب التى يقوم عليها حكمهم أنهم قد انتصروا وكسبوا لسوريا أرضاً جديدة لعل الشعب ينسى أرضه القديمة .

ولعل الشعب يرضى ، وهم يأملون ألا يفكر الشعب أن أرض لبنان لا يمكن أن تكون لسوريا ، فالدولتان عربيتان والإنسان لا يكسب شيئا إذا نقل مبلغا من المال من جيبه فى اليمين إلى جيبه فى الشمال . ولكن الأرض تكون كسبا إذا استولينا عليها من عدو اغتصبها كأرض سيناء التى استرجعناها ، وكقناة السويس التى استردتها الجيوش العربية .

لهفى على لبنان . يحيط به الظلم الفادح من الدولتين الكبيرتين . والطمع والجشع من الدولة الشقيقة ، ولعب الأطفال ومجانين الزعامة ومخبولى الانقلابات . . . لهفى على لبنان .

بيوت كالعتيق :

رحم الله شوقى حين قال فى قصيدته الخالدة « مصائر الأيام » يصف معاهد الدراسة :

وتكسر فيهم غرور الثراء وزهو الولادة والمنصب
بيوت منزهة كالعتيق وإن لم تستر و لم تحجب
يدانى ثراها ثرى مكة ويقرب فى الطهر من يثرب
إذا ما رأيتهمو حولها يموجون كالنحل عند الربى
رأيت الحضارة فى حصنها هناك وفى جندها الأغلب

فالمفروض إذن أن يكون الجميع فى رحاب المعاهد الدراسية سواسية فلا يزهو طالب على طالب بثراء أبيه ولا تدل طالبة على الأخرى بغنى ذويها .

ولكن ما تقيمه المعاهد من مساواة يهدمه شارع الشواربى ليذهب الفتيان والفتيات وقد ارتدوا وارتدين من الملابس أغلاها وأفخرها ، ويكلف الأبناء والبنات آباءهم وآباءهن عنتا من أمرهم ، فكل شاب وكل فتاة خاصة لا يحب أو تحب أن يشعر بالمهانة عند المقارنة بالآخرين والأخريات .

ومن الآباء . بل أغلب الآباء لا يستطيعون أن يدخلوا هذه المنافسة فبحسبهم أن يوفروا لأبنائهم وبناتهم ما يستر ، وبحسبهم أن يوفروا لهم المأكل والمسكن والمواصلات والكتب والدروس الخصوصية . وهيهات لهذه الأشياء أن تتوفر إلا بالجهد والاقتراض وإراقة ماء الوجه وغير ذلك مما يضطر له الآباء اضطراراً .

وحين يجد الأبناء والبنات أن الآباء لن يستطيعوا أن يواجهوا مطالبهم من الملبس الفاخر الذى يطاولون ويطاولن به الزملاء والزميلات يتولى الفتيان والفتيات الأمر .

ونسمع الكثير من القصص التى ينكسر لها القلب ونصبح كلنا شفق على مصير الجيل الجديد الذى ينحرف ، وما كلمة ينحرف إلا لفظة هزيلة ضامرة لا تمثل ما يتردى فيه الشباب من سرقات والفتيات من أعمال أخرى أعف عن ذكرها .

ماذا علينا لو وحدنا الزى فى الجامعة ولنجعل منه عدة نماذج تناسب مختلف الأشكال والأطوال والأحجام . لعلنا بهذا نحد من الإسراف المخجل الذى يضطر له الآباء ليرضوا به غرور البنات والأبناء .ولعل توحيد الزى هذا يجعل فتاة فى الجامعة تشعر أنها ذاهبة إلى معهد وليس إلى حفلة راقصة أو حفلة تنكرية فلا تجعل من وجهها خشبة رسام

تنسكب عليها الألوان عمياء زاعقة . ولا تبالغ فى تصفيف شعرها مما يكلف الآباء عنتا آخر هم فى غنى عنه بما تلقيه عليهم الحياة من إعنات وجهد ومشقة .

عامل فى قطاع خاص :

دخلت إلى محل نظارات مصرى شهير بالإسكندرية وانتقيت علبة أحتاجها لنظارتى وأعطيته خمسة جنيهات ليعطينى الباقى ووضعت العلبة فى جيبى . وفى انتظار الباقى سألت البائع الشاب عن نوع آخر من العلب فقال إنه سيكون لديه فى الغد فقلت :

ـ إذن أنتظر إلى الغد .

ـ أمرك .

وأعطانى الجنيهات الخمسة وانصرفت .

وجلست أشرب قهوة فى مقهى قريب من المحل وبالصدفة المحضة وضعت يدى فى جيبى فإذا بى أجد العلبة .

وأدركت طبعا أن الشاب البائع نسى أن يطلبها ، فقمت مسرعا إليه وفتحت باب المحل لتستقبلنى ابتسامة عريضة على وجه الشاب البائع .

ـ وفيم أتعبت نفسك ؟

ـ إذن فأنت تعرف أن العلبة معى .

ـ طبعا .

ـ ولماذا لم تطلبها ؟

ـ أترضى لى أن أذكرك بهذا ؟

لقد فضل الشاب أن يسكت ولا يذكرني أنني وضعت العلبة في جيبي دون أن أدفع ثمنها حتى لا أشعر بالحرج .

هذا المحل من أنجح المحلات وصاحبه شهير وله زبائن كثيرون ليس غريبا أن ينجح لأنه يختار بائعه بهذه الكياسة وهذا الأدب .

أفكر جديا . لو كان هذا حصل مع محل للقطاع العام . أتراني كنت الآن أكتب هذه المفكرة ؟ أم كنت سأكتب مفكرة أخرى عن القبض عليّ وتسليمي للنيابة العامة بتهمة اختلاس علبة نظارة ؟

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٣٩

٣٠ يوليو ١٩٧٦

الأدب والسياسة

هل يستطيع الأدب أن ينأى عن السياسة . . كانت هناك نظرية الفن للفن . . ولكن هل الذين كتبوا فى ظل هذه النظرية نفسها استطاعوا أن يبتعدوا عن السياسة . . . ؟ كيف . . . ؟

إن الأديب نتاج عصره . . وفنه هو روح جيله ونبض شعبه فى الفترة التى يعايش فيها هذا الشعب . والسياسة هى التى تشكل حياة الشعوب ، وتشكل مصالح هذه الشعوب ، فهى مؤثرة ومتأثرة بالشعب فى وقت واحد معا . .

والأديب فى كل عصر وفى كل زمان ، هو كلمة هذا الشعب . ولذلك فأنا أرفض الرأى القائل بأن الأديب هو الرفض وإن الفنان هو الثورة وأن الكاتب هو المعارضة .

إنما الأديب والفنان والكاتب جميعا هم الشعب .

يعبرون عنه رفضا أو تأييداً ، ثورة أو تدعيما ، معارضة أو مساندة .. الشرط الوحيد الذى يجب أن يتوفر فى الأديب أن يرفض لأنه يرى الرفض فى مصلحة الشعب ، ويؤيد حين يرى التأييد خيراً لقومه .

أما اصطناع الرفض ليمثل الأديب دور البطل الدرامى الأسطورى ؟ أو اصطناع التأييد لينافق أهل السلطة ورجالها فأمران كلاهما شر من أخيه وموقفان كلاهما فيه خيانة لأمانة القلم وأمانة الإنسان جميعا .

إن الأديب ينال من قومه الاحترام والتوقير والإجلال ، وذلك حقه .. وكل حق يقابله واجب ، وواجبه الأوحد أن يكون أمينا فى كلمته التى يوجهها لهؤلاء الذين يقدمون له الاحترام والتوقير والإجلال .

فإذا خان أمانته ، خان قومه وخان نفسه ، وأصبح أمره شرا من العدو وأكثر قبحا من الجاسوس .

وهكذا فمن المحتم أن يرتبط الأدب بالسياسة . . وقد ارتبط بها على مر العصور . . والأدباء الذين لم يكن لهم رأى فى الحياة السياسية التى عاشوها أدباء مروا بالحياة دون أن يؤثروا فيها ، ومرت بهم الحياة دون أن تحس بهم .

فإذا نظر الأديب إلى الإنسان ، وجعل عمله كله المجتمع ، واضطرب الناس فيه يكون بذلك مرتبطا بالسياسة أشد الارتباط .. فإن السياسة نفسها موضوعها هو هذا الإنسان وهذا المجتمع . . ونظرة الأديب هنا تكون أكثر شمولا واتساعا من مجرد النقد التفصيلى للأعمال السياسية المفردة .

ولكن هناك نوعا من الأدب بعيد كل البعد عن حياة الناس ومضطربهم ، لا يهدف إلى غير الجمال الفنى . . هذا الأدب قد يعيش ولكن قليلا ما يعيش . . فالجمال الفنى يختلف من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل ، ويبقى الإنسان بعواطفه وآلامه وآماله . . ويبقى المجتمع وسعيه نحو الأعلى والأمثل . . والأدب هو مرقاه وهو نظريته وهو كلمته . . وهو هو دائما الإنسان والمجتمع .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٤٣
٣ أغسطس ١٩٧٦

فرصة كافية للقدر

لم يكن مجرد النجاح فى بكالوريس الهندسة هو كل ما يصبو إليه . فقد كان يعلم أن البعثة إلى إنجلترا فى ذلك العام مقصورة على الأول فقط . فإن لم يكن هو الأول فمعنى ذلك أنه لن يذهب إلى هذه البعثة . ومعنى ذلك أن تنهار آماله كلها . وبقلب واجف عنيف الوجيب انتظر النتيجة وظهرت .

لم يكن الأول . وإنما كان ثانى دفعته .

لم يحس أنه نجح . لقد تساوى هذا النجاح الرائع بالنسبة إليه مع السقوط . فما كان يبغى أن يكون مجرد مهندس . إنما هو يريد من الحياة أن يكون دائما على قمتها .

وقد تمثلت القمة عنده على شكل دكتوراه فى الهندسة واسم شامخ ضخم عملاق يمكنه أن يبنى فلا يبنى إلا الأبنية الشامخة العملاقة .

من أين له بهذا اليوم . والسبيل إلى البعثة مقطوع . وليس لدى أبيه أو ذويه وفرة من المال تتيح له ما تتيحه الحكومة للأول . وانهارت الحياة عنده وتصدع أمام ناظريه بنيان المستقبل .

كان شابا جميلا ، حسن السمت ، بهى الطلعة ، وكانت له قبل النتيجة ابتسامة عذبة تأمر من يراه أن يعجب به ، فحين ذوت منه هذه

الابتسامة بقى له على رغم أنفه جمـال الشباب وحسن السـمت وبهـاء الطلعة .

وتواثبت إلى أذنه همسة وشوشه بها صديق لأبيه :

ـ هل جربت كل الوسائل ؟

ـ وهل هناك وسائل ؟ لابد أن أكون الأول . أو لا بعثة .

ـ يا بنى لكل هدف أبواب كثيرة .

ـ إلا البعثة .

ـ وفى مقدمة هذه الأهداف هذه البعثة .

ـ كيف يا عمى . . . كيف ؟ ! بعثة قـررت الـوزارة أن تكـون مـن الأول فقط نظرا لظروف الحرب العالميـة . وأنـا لسـت الأول . مـن أيـن تأتى الأبواب الأخرى ؟

ـ قل لى . . من المشرف على البعثات ؟

ـ فلان بك .

ـ هل أنت متأكد إنه فلان بك ؟

ـ نعم .

ـ إنه صديقى .

ـ وماذا يستطيع أن يفعل ؟

ـ قل لى .

ـ أقول لك .

ـ ألم تتخرج ؟

ـ أهذا ما تريدنى أن أقوله ؟

ــ ألا ترغب فى الزواج ؟

ــ يا نهار أسود من الحبر . . . أى زواج يا عمى . . . أقول لك بعثة وتقول لى زواج .

ــ الزواج هو البعثة .

ــ ماذا ؟

ــ ما سمعت .

ــ بعثة إلى أين ؟

ــ إلى لندن طبعا .

ــ أتزوج .

ــ فلان بك عنده بنت . . غاية فى الأدب ومتخرجة فى كلية الآداب .

ــ آداب حقوق لا يهم . . أراها .

ــ لماذا ؟

ــ أليس معنى كلامك أننى سأتزوجها ؟

ــ طبعا .

ــ ألا يرى الإنسان عروسه ؟

ــ عادة من الطبيعى أن يرى الإنسان عروسه ليعرف إن كانت جميلة أم قبيحة ، توافقه أو لا توافقه .

ــ أنت تعرف إذن أننى لابد أن أراها .

ــ نعم وأعرف أيضا أنك تتزوج من أجل مسألة أخرى بالمرة .

ــ بمعنى .

ـ يعنى لا لزوم أن تراها مطلقا .

ـ عميانى . !

ـ بالعكس . على السكين . . أنت لا تتزوج زوجة تختارها بمحض إرادتك . أنت تتزوج بنت فلان بك لتذهب إلى البعثة مقدمات ونتيجة كل ما يهمك من أمرها أن تكون بنت فلان بك ولا شيء آخر . وأنا أضمن لك أنها بنته . وسأكلمه على أساس إنك رأيتها فعلا .

ـ توكل على الله .

ـ أنت متأكد ؟

ـ تماما . لكن لابد من احتياط بسيط .

ـ مثل ماذا ؟

ـ مثل أن تعرف فلان بك المقدمات والنتيجة .

ـ ترى ذلك ضروريا ؟

ـ لابد وإلا تزوجت و لم أذهب إلى البعثة ، فبدلا من أن نكحلها نعميها .

ـ ليس من المحتم أن يعرف المسألة بكل هذه الصراحة .

ـ هذا متروك للباقتك . . . إنما لابد أن يعرف على كل حال .

وتم الزواج . . .

ولكن هل يترك القدر مسألة كهذه دون أن يتدخل بسخرية عنيفة . كانت الفتاة غير جميلة ـ وهذه حقيقة لم تكن تحتاج منى أن أذكرها فلاشك أن كل قارئ عرفها . ولقد رآها الفتى عاشق البعثة أشد قبحا من حقيقتها . وليس فى ذلك أيضا شيء غريب . فإنها ستلازمه ليله

ونهاره بل وفى العصر وفى المغرب أيضا ، ولكنه مع ذلك قبلها حبا فى البعثة وإحياء للمستقبل الذى انهار أمام عينيه ، وقد تمت الخطبة على أساس أنها سترافقه فى البعثة وتدرس هى أيضا فى لندن . ولكن الأمر العجيب الذى تفضل القدر فتدخل به قبل أن يتم الزواج كان له أعظم الأثر فى حياة المهندس العظيم .

كان يوما فى زيارة لخطيبته قبيل الزواج بأيام قلائل ، فإذا فلان بك :

ــ مبروك ياباشمهندس .

ــ اللّه يبارك فيك يا عمى .... خير .

كنت سأسعى سعيًا عنيفًا لأجعل البعثة من اثنين حتى تتمكن من الذهاب إلى لندن .

ــ وهل نجح المسعى ؟

ــ لم أعد فى حاجة إليه .

ــ لماذا . . . ماذا حدث ؟

ــ اعتذر الأول عن عدم الذهاب فأصبحت أنت المرشح الوحيد للبعثة بفضل مجهودك وحده دون أى سعى منى أو من غيرى .

خرج المهندس فى ذلك اليوم وقد أصابه دوار متلاطم أخاذ . . . ماذا عليه لو كان انتظر . . . وماذا لو فسخ الخطبة الآن . تلغى البعثة جميعا . وما ذنب الفتاة . وما ذنب فلان بك .

إنهما الآن زوجان وأبناؤهما تخرجوا فى الجامعة . ولكن الدكتور المهندس تعلم منذ ذلك اليوم أن يترك فرصة كافية للقدر قبل أن يتخذ أى قرار .

كلمة إلى السيد وزير الحربية :

كنت قد توجهت إلى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية الفريق أول / الجمسى بكلمة فـى مفكـرة ٦ يوليـه أرجـوه فيهـا أن ينظـر بعـين العدل للشباب الذى يندب للخدمة بعد أن قارب الثلاثـين وكـون حياتـه على أنه معفى من الخدمة . وكان هذا الرجـاء يبعثه خطـاب مـن سـيدة ذات أبناء ثلاثة لم تقل اسمها . ومنذ ذلك اليوم والخطابات تنهـال علـى جريدة الأهرام تطلب منى أن أعيد تذكرة الوزير الإنسـانى ، وإنـى علـى ثقة أن مثل هذا الأمر لا يحتاج إلى إعادة الكلام فيه ، وعلى ثقة أيضـا أن الوزير الإنسان لن يألو جهدا فى سـبيل تحقيـق العدالـة لهـذه الأسـر التـى تبينت من كثرة الخطابات أنها كثيرة ، وأنها تعانى أشد المعاناة من إبعـاد عائلها عنها فترة التجنيد .

الأهرام ــ العدد ٣٢٧٤٦
٦ أغسطس ١٩٧٦

ضمير القلم

الأدب هو الحرية .. ويوم تقفل على الأديب منافذ الحرية يصبح ما ينتجه منشورات وفرمانات ، وليس من عمل الأديب أن يصدر المنشور أو الفرمان .

ويوم توضع القضبان الحديدية حول فكر الأديب وعواطفه ورغباته وآماله يسقط الأدب ولا يبقى منه شيء .

الأديب هو انطلاقة شعبه ، وأمله وألمه ، وقلمه وحلمه ، وابتكاره وتشوقه وسخطه وغضبه ورضاه وقلبه ، ولسانه وعاطفته ، وعقله ويومه ، وأمسه وغده .. وهيهات أن تستطيع قوة فى الأرض أن تجابه هذه الأمواج الضخام من المشاعر والأفكار .

قد يسكت القلم ولكن الأديب يتكلم .. وقد حاول الجبابرة عبر التاريخ أن يسكتوا الأديب ولكنه قال :

وعرف الجبابرة آخر الأمر خطر الأديب فحاولوا أن يصطنعوه ، وسقطت فى الشباك نفوس صغيرة من الأدباء واستعزت بكرامتها نفوس أخرى .

ونالت النفوس الساقطة المال ، ونالت النفوس الأبية الإجلال .

وما هى إلا خفقة زمن ، حتى ذهب المال وبقى الإجلال . وقد حاولت أقلام صغيرة أن تدعى العمق وتقدم عمقها للسلطان يركبه ..

وما هى إلا خفقة زمن حتى زال السلطان وبقى رأى الناس ، وبقيت نظرتهم ترمق صاحب القلم الصغير فى احتقار ، وراح هو ينظر إليها فى تذلل .

ترى ألم يكن يعرف أصحاب الأقلام الصغيرة أنهم محاسبون ، وأن مسئوليتهم الحقيقية إنما هى ضمائرهم لا أمام أفراد زائلين ؟

فلماذا تسارعوا إلى الزائل وأغفلوا الباقى ؟.. ولماذا وتروا بالذل أقواس الظهور ولم يوتروا بالحق أقواس الشرف ؟

إن جهلوا هم فمن يعرف ؟.. وإن زلوا فمن الذى تستقيم على العفة خطاه ؟.. وإن ذلوا فمن الذى يعتز ويمتلئ ثقة بنفسه ، ما دام القارئ — وهو الناس — قد أولاهم ثقته ..؟

إن جهل الكاتب أفدح من جهل الجاهل ، وزلة الأديب أبغض عند الضمير وعند الناس من زلة المتسلق من غير الأدباء .. وذل الأديب هوان عند الناس لكل من أولاه فى يوم بعض إجلال .

ترى هل يعى الكاتب هذا ، أم يظنون بالناس الغفلة ويهتبلون منهم السذاجة .. وهموا فإن للقراء عيناً وفراسة وفهما ، ولا يفجع القارئ فى شىء قدر فجيعته فى أديب احترمه يوما وأجله ووثق به .

فليتق الكاتب قارئه إذا لم يكن يريد أن يتقى ضمير القلم وشرف الكاتب .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٥٠
١٠ أغسطس ١٩٧٦

إنها باقية مع الخلود

ركبت الأجيال سبعة آلاف عام وأشعت حضارتها إلى التاريخ . ومشت بالبشرية خطواتها الأولى حين كانت البشرية تتعثر فى بقايا العصر الحجرى ، توشك أن تجمدها آثار العصر الجليدى ، وشقت مصر بهذه البشرية سدود الجهل ونفذت بالعالم إلى مشارف النور وأخذت بيده إلى أبواب العلم ، فعرف منها الفلك والطب والفلسفة والتوحيد والموسيقى والأدب لكل هذا نحن المنشئون والبانون .. حول نيلنا تخلجت أقدام الحضارة ثم اشتدت ثم انتشرت إلى العالم أجمع .. وأتاحت لشاعرنا شوقى أن يقول :

لم تنزل الشمس ميزانا ولا صعدت
في ملكها الضخم عرشا مثل وادينا
وهذه الأرض من سهل ومن جبل
قبل القياصر دناها فراعينا
ولم يضع حجرا بان على حجر
في الأرض إلا على آثار بانينا
كأن أهرام حائط نهضت به
يد الدهر لا بنيان فانينا

فحين زلزل التاريخ زلزالا . وحين تسنمت حضارات أخرى قمم العالم .. بقى المصرى ابن العروق الضاربة فى أغوار الزمن ثابتا كالطود يمر به الظلم والجور والإفلاس فيخرج آهته فى ضحكة ، ويضرب

بأقدامه فى أرض أجداده ويبقى وينزل الظلم عن عنفوانه وينكسر الجور وتنقضى أزمان وتأتى أزمان .. وتبقى مصر .

واليوم نشكو من النور والماء .. ومن التليفون ومن المواصلات .. ومن الغلاء والفقر .. ويقولون لا تذكروا التاريخ وإنما انظروا إلى الحاضر .. هراء .. إننا بهذا التاريخ نعيش هذا الحاضر .

لو أن آلات النور ومواسير الماء هذه فى بلد آخر ما عملت على الإطلاق . ولو أن شبكات التليفون ووسائل المواصلات هذه فى دولة أخرى لصمتت التليفونات جميعا كأنها أحجار ، ولألقى بهذه السيارات وزميلاتها من وسائل النقل إلى أقرب بحر تصل إليه أو تحمل إليه ، ولو أن هذا الغلاء مع هذا الفقر فى بلد آخر لانتحر الناس . لقد كنت فى إيطاليا واشتريت قطعة الجاتوه بخمسة وسبعين قرشا وقطعة الشكولاتة التى تشترى مثلها هنا بعشرة قروش بخمسة وسبعين قرشا أيضا . ولكنهم هناك يصيبون من الدخل ما يمكنهم من شراء مثل هذه الأشياء بهذ الأثمان الباهظة . ومع ذلك فهم فى أزمة طاحنة ، وتقدم لهم أمريكا بلايين من الدولارات .

إن القائمين عندنا على النور والماء وعلى التليفونات والمواصلات عباقرة يندر أن يكون لهم مثيل فى العالم .. فما زلنا نغمز زرا فيضىء نورا ، وما زلنا بعد الجهد نسمع صوتا فى التليفون على الطرف الآخر .. ولكن هذه الآلات التى يمكنون بها لنا أن نرى فى الليل ونخاطب الآخرين فى التليفون ، إنما هى آلات عفا عليها الزمان وأصبحت جزءا من التاريخ ، إن أكرمها مكرم وشاء أن يكون ذا وفاء فعليه أن يضعها فى متحف من متاحف القرن الماضى .

إن هؤلاء العباقرة الذين يشرفون فى مصر على الماء والنور والكهرباء يستحقون كل إجلال وتكريم . لقد انتهبت حربنا من أجل العرب أموالنا قدمناها غارقة فى دمائنا وفى آمال شبابنا ، وفى ترمل الزوجات فى نضرة شبابهن ، وفى يتم الأطفال فى بواكير أعمارهم .. وقدمنا معها هناءنا فى بلادنا لا تستقيم لنا وسائل الحياة الضرورية من ماء وكهرباء وتليفون ومواصلات . وبهذا الذى قدمنا ارتفع سعر البترول أضعافا مضاعفة . وغرق أبناء الرمال فى الماس وأبناء البترول اليوم فى نعيم لم تسمع به البشرية ، وما كانت تشتهى أن تسمع .. ومع كل هذا فمصر باقية . ولتصمت التليفونات فلا تتكلم وليظلم النور فلا يضىء وما بهم ونحن نضىء للعرب أجمعين عقولهم وطريقهم . ولينقطع ماء البيوت .. إننا نستطيع أن نعيش بلا تليفون وبنور قلوبنا وبماء نيلنا ... ونبقى .

إن مصر الحديثة التى أشعت النور إلى جميع البلاد العربية والتى ما زالت حتى اليوم وهى فى محنتها تعلم أبناء العرب فى كل أنحاء العالم العربى ستبقى . وستثبت ركائزها فى أركان التاريخ . وسواء عندنا شعر العالم العربى بواجبه نحونا أو لم يشعر ، ستبقى . مع الخلود ستبقى .

*** خطابان مع البريد :**

خطابان حملهما إلىّ البريد : أما أحدهما فقد أورثنى الأسى والأسف والشعور بالذنب ، فقد أحسست أننا نحن الذين نكتب بقسوة عن جهل الشباب وعدم معرفتهم بلغتهم ، قوم نبتسر الأحكام ونتعجل الاتهام دون تقص للأسباب التى تعجز الشباب وتقف عقبة دون بلوغهم إلى مناهل أدبهم ومصادره وموارده ...

الخطاب من طالب فى إسنا ، ويمتاز الخطاب بأسلوب سلس قريب المأخذ يدل على أن صاحبه يستطيع أن يكتب ما بنفسه . وفى الخطاب بطبيعة الحال نصيب لا يستهان به من الأخطاء النحوية بل والإملائية أيضا ، ولكن الخطاب يحمل الاعتذار عن الأخطاء . وهو اعتذار قاطع لا تملك أمامه حيلة ولا تطيق له دفعا .

إنه يقول إنه مبعد تماما عن الوسائل التى يستطيع بها أن يحصل على كتاب . فالكتب مرتفعة الثمن ولا يستطيع أن يشتريها ، ولا مكتبات هناك لا فى المدرسة ولا فى البلد جميعا ، ويتردد الطالب كثيرا قبل أن يقول إنه لم يقرأ فى حياته إلا كتابا واحدا وجده عند صديق له ، وحين أراد أن يعيد قراءته وجد زميله قد أعاره لآخر وتاه الكتاب فى خضم الحاجة إلى الثقافة التى تغمر الشباب هناك .

أى شيطان جاهل قال للمشرفين على الشباب عندنا أنهم مسئولون عن الكرة والألعاب وليسوا مسئولين عن الكتاب والثقافة ؟ وأى شيطان جاهل قال لنظار المدارس أن عمل المدارس هو تعليم الطلبة المناهج فقط . إن الدولة لا تشترى من الكتب التى تصدر شيئا .. وإنما يفرض على الناشر أن يقدم خمس نسخ للمكتبة العامة .. فلماذا لا يفرض على المدارس أن تشترى نسختين من الكتب الهامة التى تصدر ؟ وكيف يجوز أن نترك الشباب يضرب فى هذا الليل من الحاجة إلى الكتب وعدم القدرة على شرائها ؟

أما الخطاب الآخر فهو من طالب فى الطب وقد أرسله إلىّ كمشرف على الصفحة الأدبية . الخطاب نقيض للخطاب الأول .. فلقد فوجئت بنثر رفيع يقدم به لقصيدة رائعة من الشعر الأصيل . وصاحب الخطاب

اسمه ياسر الوزير .. بطب عين شمس .. لعل الأستاذ ياسر أو الدكتور ياسر قادر على أن يشترى الكتب أو لعل وجوده بالقاهرة قد يسر له الحصول على ما يشتهى من الثقافة . أو لعل .. وهذا هو الأقرب .. إصراره على أن يتثقف هو الذى جعله يبلغ من الثقافة هذا القدر الذى أهنئه عليه . وإنى أعده أن أنشر القصيدة وإن كنت حرصت أن أشير إليها وإليه الآن ، فما ذلك إلا عن حرص منى ألا يظن أن كتابه قد لقى مالا يستحق من التقدير .

* وخطاب ثالث إلى الأستاذ توفيق الحكيم :

بكرت فى الصباح إلى بترو حيث أجتمع بأستاذنا توفيق الحكيم والأستاذ الجليل إبراهيم فرج والأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ورئيس لنيابة سعيد العشماوى وأستاذنا نجيب محفوظ حين يكون بالإسكندرية ..

ولكننى اليوم وجدت أستاذنا توفيق الحكيم وحده ، وقبل أن أقول صباح الخير بادرنى هو بقوله :

ـ الناس أصابها الجنون ولا شك . [ومصمص بشفتيه على عادته]

قلت جازعا :

ـ خيرا .. ماذا حصل . ؟

ـ خذ يا سيدى ..

وأعطانى خطابا وقرأت :

« باسم جمعية ... الخيرية بالشرقية أرسل هذه الرسالة إلى سيادتكم ، ولنا أمل كبير فى سيادتكم فى التكرم بمد يد المساعدة إلى الجمعية والمساهمة بتبرع مالى من سيادتكم ... » .

ولم أعد في حاجة طبعا أن أكمل الرسالة .. فكل ما سيأتى بعد هذا أقل جنونا بلا شك من هذا الجنون .. وأى جنون أكثر من طلب تبرع مالى من توفيق الحكيم .

وخجلت لأن المرسل من الشرقية فقد أعاد هذا إلى ذهنى ما نرمى به نحن أهل الشرقية من سذاجة .. وأى سذاجة أبعد من طلب تبرع مالى من توفيق الحكيم .

رددت الخطاب إليه واعتذرت عن ابن إقليمى ، ولكن أى اعتذار يصلح لهذا الجرم الفادح . لقد رأى الخطاب كل أعضاء الندوة من أصلاء وزائرين وبقيت طوال الجلسة شاعراً بالحرج والأسف والأسى التى ألقانى إليها شرقاوى طيب يطلب تبرعا ماليا من توفيق الحكيم . وحسبى الله ونعم الوكيل ..

الأهرام - العدد ٣٢٧٥٣
١٣ أغسطس ١٩٧٦

شعر المناسبات

جرى بعض النقاد أن يصدروا أحكاما جامعة مانعة بالرفض دون أن يضعوا لرفضهم هذا حيثيات تجعله مقبولا أو سائغا . ولما كان هواة الأدب ليسوا قضاة ، فإنهم فى أحيان كثيرة يقبلون هذه الأحكام قضية مسلمة لا يناقشونها بمنطق أو يتعمون فيها النظر .

من هذه الأحكام المتعجلة وجدت صدى بعيدًا لدى المتأدبين لرفض شعر المناسبات . ومعنى هذا الرفض أن تسقط الغالبية العظمى من شعر العرب

فالمتنبى أقام مجده الأدبى جميعا على شعر المناسبات من مديح وهجاء .

وفى أبيات المديح هذه تجد شعراً نستطيع أن ننسبه فى التحضر والذكاء إلى أذكى العصور وأكثرها تحضرا .

ولو كونكم فى الناس كانوا هراء كالكلام بلا معانى

كيف استطاع أن يقول إن الناس يصبحون هراء ، وكيف تأتى له أن يشبه الناس بمعنى مجرد وفى وقت كان التشبيه فيه بالأسد والرئبال والحيدر إلى آخر مسميات الأسد .

وحين يمدح شعب بوان ويجرى هذا الحديث الخالد بينه وبين حصانه.

يقول بشعب بوان حصانى أعن هذا يسار إلى الطعان
أبوكم آدم سن المعاصى وعلمكم مفارقة الجنان

كيف استطاع المتنبى منذ ألف عام ونيف أن يذم الحرب وينسبها إلى المعاصى ومفارقة الجنان ، ويصل بينها وبين الخطأ الأول فى البشرية الذى أهداه إلينا جد الإنسانية فيما أهداه إلينا من متاعب وشرور . فمنذ البدء أعطى الله الحرية لآدم ، فاختار وباشر ما اختار ، لقد سن المعاصى وعلمنا مفارقة الجنان ومازلنا على تعاليمه البشعة حتى الآن . وحسبك نظرة إلى لبنان ، لقد تطور الأمر فيها ، فبعد أن كان مفارقة للجنة أصبح اليوم تدميرا للجنة ، ورحم الله المتنبى .

وحين يمدح البحترى المتوكل فيهديه فرسا يموت فى اليوم التالى فيكتب إليه :

أهديتنى أعجوبة هى فى العجائب نادرة
فرس كأن هبوبه وشك الرياح الطائرة
فى ليلة قطع المسافة من هنا للآخرة

من أين كنا نستطيع أن نحصل على مثل هذه اللفتة الرائعة دون شعر المناسبات .

هذا نثار من الأبيات مما تعيه الذاكرة أحببت به أن أنفى هذه التهمة التى حاول النقاد أن يرموا بها شعر المناسبات من أنه شعر تافه لا يستحق التقدير أو الإجلال . ولو حاولت أن أرجع إلى الشعر العربى لنقلت منه آلاف الأبيات الرائعة التى قيلت فى المناسبات .

ورأيى أن على الناقد أن يطرح عن نفسه الأحكام المسبقة وينظر إلى الشعر فى ذاته دون البحث فى الأسباب التى دعت إلى قوله . فأول شرط فى الناقد أن يتحرر من كل الأحكام المسبقة حتى يزن الكلام بموازينه العادلة .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٥٧
١٧ أغسطس ١٩٧٦

اشتراكية التمليك لا التجريد

لقد اتضح في الخطاب التاريخي الذي قال فيه الرئيس السادات إن مصر ترفع لواء « اشتراكية التمليك لا التجريد » .. إن الرئيس يفهم ـ من واقع تراث أمته ـ معنى الاشتراكية فهما عميقا يرتكز على عدالة التوزيع والتقريب بين الغنى الفاحش والفقر المدقع الأمر الذي كرهه الإسلام فحض في آيات كثيرة له على إعطاء الفقراء إلى جانب ما فرضه من الزكاة حتى لقد جعل منها ركنا من أركان الإسلام لا يتم الإسلام إلا به .

والزكاة بطبيعتها لا تكون إلا عن مال يغل . والحض على إعطاء الفقراء هو في ذاته يحمل معنى وجود الأغنياء ، فالفقراء لا يعطون الفقراء . ولهذا أضحك ضحكا مريرا من الذين يرون الإسلام داعيا إلى الاستيلاء على الأموال مرتئين في الآيات التي تقول بأن اللّه مالك كل شيء وأنه يرث الأرض ومن عليها ، وفي الحديث الذي ذكر أن الماء والكلأ ملك للجميع حجة يشهرونها أن المال جميعا مال اللّه . وهم يعلمون أن المال مال اللّه حين يرث اللّه الأرض ومن عليها . أما في هذه الحياة الدنيا فالناس أمناء على هذا المال يمتحنهم اللّه به ويحاسبهم على معاملتهم لهذا المال حين يحاسب اللّه الناس على ما قدمت أيديهم .

ولو كانت كلمة الماء والكلأ تعني أن الملكية للجميع ، وأن كل النبات والماء ملك مشاع ما اشترى عثمان بئرا ووهبها للمسلمين . إنما الماء والكلأ في الصحراء هما في الحقيقة الثروات الطبيعية التي كان

العرب يعرفونها ولا يعرفون غيرها ، كالبترول الآن . والكلأ بطبيعته هو الذى ينبت فى الأرض دون أن يزرعه أحد وكذلك كان الماء عند العرب يفيض من الآبار دون مجهود الناس .

أما لو كان المراد أن ما تنبته الأرض وما تفيض به من ماء مهما يكن الأمر فيه ، وسواء كان الماء والزرع فى أرض مملوكة لبعض الناس أو لم تكن .. لو كان المراد أن يصبح هذا قاعدة تستولى بها الدولة على الأرض الزراعية ووسائل الرى الحديثة وغير الحديثة لانتفت الملكية الزراعية جميعا . وحينئذ تنتفى العدالة لأن الدولة بهذا المفهوم العجيب ستستولى على الأرض الزراعية وتترك العقارات الأخرى من أبنية ومصانع . وهى أيضا ستترك التجارة لأنه لم يرد عليها نص .

ولو لم يكن الإسلام حريصا غاية الحرص على الملكية الخاصة وطريقة انتقالها لما ذكر المواريث بهذا التفصيل الذى أوردها به فى سورة النساء وهو تفصيل لم نجده حتى فى الصلاة . فالقرآن الكريم لم يذكر عدد ركعات الصلوات ونحن نصليها على أنها سنة مؤكدة .

وبعد ، فالدين الحنيف قوى وعظيم ويستطيع أن يتحمل كل هؤلاء الذين يتواثبون حوله ويحاولون أن يحرفوا الكلام فيه عن مواضعه فمهما تذهب بهم الضلالة ويذهب بهم التضليل سيظل الدين القيم شامخا ثابتا نافذا إلى الأجيال ، وحسبه قول العزيز القدير :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ صدق الله العظيم .

إلى العقلاء نسوق الحديث :

وقع المال فى يده فجن به الجنون . بدلا من أن ينفقه على تعليم دولته وتحضيرها راح يقذف بالأموال على قلب أنظمة الحكم وقتل الأبرياء ، صارخا فى نفس الوقت إنه مؤمن بالدين الإسلامى الذى يقضى بأن من يقتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا ، ولا عجب فهكذا يكون مخلوط العقل . ومع المجانين يتعذر الكلام العاقل . فنحن لا نستطيع أن نقول لهذا القذافى الأحمق أن مصر وأبناءها لن تهزهم ألعاب الصغار التى يقوم بها هو وأعوانه . ولا نستطيع أن نقول له إن كنت مغيظا من مصر والقائمين على أمرها . فما ذنب هؤلاء الأطفال والنساء يركبون قطارا إلى الصعيد مسلمين أنفسهم إلى يد الله فتتولاهم يدك أنت ويد أعوانك بالقتل والفتك والإصابة . ولا نستطيع أن نسأله أى فائدة يمكن أن تعود عليك من إصابة الأبرياء وقتل من لا شأن لك به ومن لم يبد رأيا فيك . ولا نستطيع أن نقول له إلا أن مصر رميت بأبشع منك إجراما وشهدت من المصائب عبر تاريخها الطويل ما جعلها تثبت عند الشدة وتعلو على المحنة وتترفع على الضائقة .

فما ذلت ولن تذل . . وما هانت ولن تهون وما مثلك من يجعلها تحيد عن أخلاق لها قديمة قدم الدهر ، عالية حتى عنان السماء ، أصيلة أصالة الحضارة فى هذا العالم .

ولعل متعجبا يسأل فيم حديثك إلى مجنون وما منطقك مع مخبول ، ولكن هذا المجنون المخبول وجد أحيانا عقلاء يدافعون عنه ويركبون حصانه الأحمق ، فلعلنا إلى هؤلاء المتعاقلين نسوق الحديث .

فإن كانت فى نفوسهم المنهارة بقية من حب الكنانة أو أثارة من وطنية مصرية ، فليكتبوا رأيهم وليظهروا الناس على ما يرون فى قاتل يتخفى فى قطار لركاب أبرياء فيصيب المقتل من بعض ويصيب بغير قتل بعضا آخرين .

وما رأيه فى هذا القاتل نفسه فيما يقصد إلى مجمع حكومى يسعى إليه الناس يحملون على أكتافهم آلام حياتهم وقلق ذى الحاجة وترقب المتطلع إلى مطلب ، بدلا من أن تطالعه حاجته وقد قضيت أو رغبته وقد تحققت أو آلامه وقد زالت يطالعه الموت الآخذ بيد القذافى مستخدما فيه أحدث آلات الدمار اشتراها بأموال دولة عربية أشد ما تكون حاجة إلى هذا المال لتشييد ما هدمه منها الاستعمار ، وتعوض ما فوته عليها التخلف ، وتسير طريقا طويلا إلى الحضارة بعد أن انقطعت عنها عهدا عهيداً وسنين عدداً . ألا كلمة أيها المتعاقلون الذين حملتم لواء القذافى فإليكم وحدكم نسوق الحديث . .

خطاب هام :

جاءنى هذا الخطاب فى البريد وإنى سأثبته ، ولن أعلق عليه . فالكاتب يعرف ما يقول ، وأنا لا تعليق لى عليه إلا أننى أرجو أن يقع حديثه حيث يجب أن يقع من المسئولين .

« بحكم علاقة الدرس والتدريس التى تربطنى بالسادة أئمة المساجد ، سعدت كل السعادة بكلمتكم بعنوان « القرية وخطبة الجمعة » فى باب « من مفكرة . . »

ذلك أننى كنت أشعر بشعور الأسى الذى يملأ حلوق السادة أئمة المساجد ، وأنا أتولى تدريس « علم اجتماع الدعوة الدينية » لهم وأطلب من كل منهم الاطلاع ليس على المؤلفات الدينية فحسب ، وإنما على المؤلفات الاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها ليكون من الناحية الفكرية على مستوى الأحداث المعاصرة والماضية ، وليكون فى موقف القادر على التنبؤ بالغد فى كل ما يتعلق بمكونات المجتمع وأحواله ، وحتى تكون خطبه ودرسه مشبعة للمصلين والسامعين فى مسجده وفى أى مكان آخر غير أن الرد الذى كنت أسمعه منهم هو : من أين ؟ والمرتبات محدودة وميزانية المساجد ليس فيها بند لتزويد مكتبات المساجد بمثل تلك المؤلفات ولم أكن — برغم قدرتى — أستطيع الرد .. ولكن وقد فجرتم سيادتكم تلك القضية ، لا أجد مناصا من الرد وأمرى إلى اللّه فى النتائج الوخيمة التى ستعود علىّ . وهذا الرد هو أن لدينا جهازا يدعى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . وهذا الجهاز يتولى طبع مؤلفات « بعضهم » وبجوارها يتولى إعادة طبع بعض المؤلفات القيمة ، مثل التفسير والتشريع والسيرة .. إلخ . وهذه المؤلفات تصرف بالثمن لمن هم أحق بها وأكثر استثمارا لها واستفادة بها مثل أساتذه الجامعات وأئمة المساجد والباحثين ، وتعطى بالمجان للطلاب المبعوثين من غير المصريين فى الأزهر ممن لا يتقنون اللغة العربية . وبالرغم من أن ثمن الكتاب الواحد يزيد فى بعض الأحيان على خمسة جنيهات ، فإن هؤلاء المبعوثين يبيعون هذه المؤلفات القيمة التى تصرف لهم بالمجان ، يبيعونها على سور الأزبكية بقروش لكى نشتريها نحن بنصف أو بثلاثة أرباع ثمنها باعتبارها قديمة وبالرغم من أنها جديدة . وبجوار المبعوثين هناك إحدى الدوائر

الانتخابية فى مصر ، تلك التى تشحن إليها ــ على حساب الجهاز ــ أطنان من هذه المؤلفات ومن المصاحف لكى توزع بالمجان على أبناء تلك الدائرة و ٩٠٪ منهم من الأميين . ولكنها الدعاية الانتخابية لأحد كبار المسئولين فى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على حساب الدولة .

ترى فيم كان إنشاء هذا الجهاز ؟ وما هى وظيفته بجوار مجمع البحوث الإسلامية الذى يتألف من خيرة علماء الأزهر الشريف ؟ ولماذا هو مثل نبات القرع الذى « يمد لبره » ؟ وإلى مدى يترك السادة أئمة المساجد دون أن يزودوا بالمؤلفات الدينية التى تساعدهم على أداء واجبات وظائفهم على أكمل وجه ؟ ولماذا لا تتولى وزارة الأوقاف تعيين أئمة جدد من خريجى كلية أصول الدين لسائر المساجد التابعة لها وكذلك المساجد الأهلية بدلا من تركها للأئمة المتطوعين وكلهم ــ فى الغالب ــ مثل الإمام الذى أشرت إليه فى كلمتكم . وأنا هنا لا أعيب على مثل هذا الإمام فهو أفضل من غيره ، ففى قريتنا كثيرون من خريجى الأزهر ومع ذلك يتركون المنبر يوم الجمعة لغير المتخرجين فى الجامعة الأزهرية أو حتى فى المعاهد الثانوية أو الإعدادية الأزهرية .

إننى أقترح أن يتولى المجلس الأعلى للشئون الإسلامية تزويد كل مسجد فى مصر ــ وليس فى الفلبين ــ بمكتبة كاملة من مطبوعات هذ المجلس أو الاكتفاء بمجمع البحوث الإسلامية وتحويل ميزانية هذا الجهاز إليه وإراحتنا من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى لا يستفيد منه سوى بائعى كتب سور الأزبكية .

دكتور زيدان عبد الباقى ــ كلية البنات الإسلامية ــ جامعة الأزهر .

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٦٠
٢٠ أغسطس ١٩٧٦

اللغة والثقافة

كنت حين أراجع بعض الدروس فى اللغة العربية أو الدين مع ابنى وابنتى ، أجد لسانيهما يعوج عن اللغة الصحيحة عوجا لا قبل لأحد به ، وكنت أصحح ما استطعت ، ولكن كانت حجتهما قوية فهما دائما يقولان إننا لن نمتحن امتحانا شفويا وإنما سنثبت هذا الكلام على ورقة الإجابة .

وكانا بطبيعة الحال يلحنان حتى فى الآيات القرآنية ويسوقان الحجة نفسها إذا قومت الخطأ . وكنت أقول لهما : إن اللحن فى القرآن ليس مجرد خطأ لغوى وإنما هو خطأ دينى أيضاً فكانا يخافان بعض الشىء ولكنهما يعودان إلى اللحن أيضا .

وهكذا تبين لى مدى أهمية الامتحانات الشفوية التى لم نكن نعنى بها حين كنا تلامذة فى المدارس أو بالجامعة . . . فقد اتضح لى أن هذه الامتحانات تقوم اللسان العربى والأذن العربية أيضا .

واستقامة اللغة العربية ومعرفة النطق الصحيح فيها يقوم اللسان فى اللغات جميعا لأنه يكون عند النشء الحاسة اللغوية ، وإذا تكونت هذه الحاسة أفادت فى اللغات جميعا لا اللغة العربية وحدها .

ولست أدرى الحكمة التى دعت إلى إلغاء الامتحانات الشفوية من المدارس ، ولو أن هذه الامتحانات فى ذاتها لن تؤتى ثمارها إذا كان الممتحنون لا يجيدون اللغة العربية إجادة تامة . وكم يتردد القلم فى يدى

وأنا أفكر فى القـول : إن خريجى قسـم اللغة العربيـة فـى كليـة الآداب ليسوا جميعا ممن يتقنون لغتهم العربية .

وأعتقد أنه لا سبيل إلى إصلاح هذا إلا بأن يفرض على الطلبـة فرضـاً منذ بواكير حياتهم الدراسية أن يحفظـوا جـزءاً مـن القـرآن يمتحنـون فيـه شفوياً ، ويمكن أن يفرض على أبنائنـا مـن الطلبـة المسيحيين أن يحفظـوا نصيباً من الشعر العربى بحيـث لا يسـمح للطلبـة أن ينتسبوا إلى مدرسـة إعدادية حكومية أو خاصة إلا إذا أدوا هذا الامتحان .

وإن نظرة واحدة إلى لغة آبائنا تؤكد مقدار الأثر العظيم الذى أفـادوه من إجادة اللغة العربية ، وقد استطاع هذا الأثر أن يجعلهـم أقويـاء أيضـا فى اللغات الأجنبية التى كانوا يدرسـون بهـا معظـم المـواد فـى المـدارس الحكومية فرنسية كانت هذه اللغة أو إنجليزية .

وليست اللغة أداة للأدب وحده ، بل إنهـا الخطـوة الأولى التـى لابـد منها لكى يتقن الطالب أى ثقافة يتجه إليهـا فليـس مـن الحتـم أن يصبـح خريجو الجامعات كلهم أدباء ، ولكـن مـن المحتـم الـذى لا محيـد عنـه أن يكونوا جميعا مثقفين .

ثروت أباظة

الأهرام ـ العدد ٣٢٧٦٤
٢٤ أغسطس ١٩٧٦

شيئا لله . يا رئيسة الديوان

فكرى . . شاب موظف بإحدى الشركات لا تلقاه إلا وابتسامة مشرقة تسبقه إليك ، وترحيب يبين منه الحب والشوق للناس جميعا .

وفكرى يحب أن يؤدى لك أى خدمة تقصده فيها ، وهو يسعد بأداء هذه الخدمات سعادة لا توصف ولا يقبل فى سبيل خدماته أى مقابل . إلا أن فكرى يحب أن يتحدث فيروى لك أنباءه جميعا وأنباء الأصدقاء المشتركين الذين يسعى دائما إلى معرفة أخبارهم ، فهو حريص على أن يطمئن على أصدقائه ما أمكنته الفرصة حرصا لا يبتعثه إلا الحب والوفاء والأخوة الصادقة .

ومتعة فكرى فى حياته هى صلته هذه بأصدقائه وحديثه إليهم ، وتحس وهو يحادثك عنهم أنه يمارس هواية يعشقها بحبه كله وروحه كلها . تحس فى وجهه وفى عينيه متعة الفنان يمارس فنه ، وفنه هو حب الأصدقاء والحديث إلى الأصدقاء وعن الأصدقاء .

لقيت فكرى يوما . فإذا عينان منطفئتان ووجه قاتم لا بشر فيه . وحين تصافحنا وسألته كيف أنت أجابتنى منه دمعتان تصرخان بالألم الحبيس يعلو ضجيجه فى صمت .

ماذا بك . . فكرى ماذا بك ؟ وأشار إلى لسانه وحركه فى فمه حركة لا يستقيم معها لسان ولا تصدر منه كلمة . . لماذا ؟ أشار إلى السماء وضرب كفا بكف ، ولم أجد شيئا أقوله فالحديث الصامت الذى ألقاه لا يسمح لى أن أجد شيئا أقوله .

وفى يوم وجدت فكرى يدلف إلىّ فى مكتبى بنادى القصة وقد عاد إليه إشراقه وابتسامته ، ولا غرو فقد عاد إليه لسانه وروى وأفاض .

طلع عليه الصباح فإذا لسانه لا ينطق ، لم يكن فى ليلته السابقة تعرض لكدر أو إثارة وإنما كانت ليلة مثل كل الليالى ، صلى العشاء وقرأ فى القرآن ونام ثم أصبح وقد أمسك لسانه عن الحديث . مر بالأطباء جميعا من أعصاب إلى باطن إلى شرايين .. لا شىء به . . أعصاب أضربت عن العمل دون طلبات .. وتوالت الأدوية ومرت الأيام بلا فائدة ثم هو يقول إنه نام فى ليلة وقد عصره الألم عصراً بعد أن صلى العشاء وأفاض فى الدعاء والرجاء . وتجلت له السيدة زينب فى الحلم تدعوه إليها ، فقام قبل الفجر وقصد مقام السيدة أم هاشم وارتمى على عتبتها ونذر لله النذور . وقبل أن يكمل صلاة الفجر كان يقرأ سورة الفتح بصوت مرتفع ، وعاد لسانه إلى انطلاق . انجبست الدموع من عينيه واتجه إلى مقام السيدة يقدم الشكر ويفى بالنذور .

ترى كم من المثقفين سيقرأون هذا الكلام ويسخرون . هؤلاء لم يحسنوا الثقافة ، فعلوم الروحانيات معترف بها فى أعظم الدول تقدما .

وقد شهدت فى التليفزيون الأمريكى شخصا يشفى الناس بقوة دينية خارقة . وحسبت يومذاك أنه برنامج إعلانى إلا أننى رأيته منذ قريب يعرض بالقاهرة والبرامج الإعلانية لا تباع .

وقد يقول قائل إنها حالة نفسية وثقة من المريض أنه سيشفى ، وما البأس وفيم تضار الثقافة إذا اطمأن إنسان إلى معنى كريم هو وفاء لأهل بيت رسول الله وللعارفين بالله المتقربين إليه .

ولا شك أن المغالاة فى هذا سخف . بل إن المتصوفة يرفضون تصوف المجاذيب لأن المجذوب لا يدرك ، أما أن يؤمن إنسان بأن إنساناً آخر من الأتقياء يستحق أن يزار قبره وتقرأ له الفاتحة وتوزع الصدقات على الفقراء اللائذين بساحته فإنه لا يمس الثقافة فى شىء . فإن قائلا لم يقل إن هذا يغنى عن العلم . بل إن صديقنا فكرى مع إيمانه بمقام الأولياء لم يقصد إليهم بادئ ذى بدء وإنما قصد إلى الأطباء ولكن السيدة زينب رضى الله عنها هى التى شفته وليحلل مدعى الثقافة هذا الشفاء بما يحلو له من التحليل .

كثيرا ما يكون إلى جانبى أستاذنا توفيق الحكيم — وهو من أعظم المثقفين فى العصر الحاضر — ونمر على مقام سيدى بشر بالإسكندرية فما ينسى الحكيم مرة أن يقرأ له الفاتحة . بل لقد نذر فى مرة منذ سنوات أن يذبح له خروفا إذا شفى مريض عزيز من أهل بيته وشفى المريض — ومازال الحكيم يذبح خروفا فى كل عام ويوزعه على فقراء سيدى بشر . وقد مرت السنون الطوال على هذا النذر وثمن الخروف فى هذه السنوات وصل إلى مبلغ لاشك أن أستاذنا الحكيم يتأثر بدفعه تأثرا شديدا ولكنه مع ذلك لا يتردد .

وإخواننا المسيحيون فى مصر لهم أيضا من يتبركون به مثل مارى جرجس وسانت تريز ودميانه . بل ما أظن الشموع فى الكنائس العالمية إلا صورة من هذا التقرب .

ويبدو لى أن هذا الذى نشهده فى مصر هو فى أصله عادة مصرية قديمة لم تبارح المصريين من قبل ظهور الأديان . وأيا ما كان الأمر فإن كثيرا من الناس تجد فى نفوسها طمأنينة وانشراحا فى رحاب بيوت

اللّه ، وإلى جوار قوم أقل ما يقال فيهم أنهم كانوا فـى حيـاتهم يحسنون أن يعبـدوا اللّـه جـل جلالـه ولـو لم يكرمهـم النـاس إلا لهـذا لكـان هـذا حسبهم وحسب الناس .

متسولون على أرصفة الشهرة :

بعض الشباب وجدوا فى أيديهم أقلاما ، ووجدوا أنفسهم فى مجلات قبل أن ينضجهم الزمن وتتقدم به السـن بعـض الشـىء ، ونظـروا إلى مـا قدموه فى ميدان الأدب فوجدوه هزيلا لا يقيم أديبـا ولا شـبهة أديـب . ونظروا إلى داخل أنفسهم فلم يجدوا شيئا فالماء الشحيح الذى قدموه فـى نهر الأدب هو كل ما كانوا يملكـون ولا يملكـون غـيره ليقدمـوه . وقـد كانوا فى بدايـة حيـاتهم يتوقـون إلى الشـهرة ، وقـد ظنـوا أنهـم بلغوهـا بكتاب يصدرونه أو كتابين ، ولكن الشـهرة أخلفـت ظنهـم وظلـوا فـى بؤرة الجهل .. الجهل منهم والجهل بهم .. ونزلت عليهم أستار الضيـاع فلا هم كسبوا صنعة ولا هم أصبحوا أدباء ولا هم أصابوا شـهرة .. أى شهرة .. مساكين هـؤلاء النـاس . لقـد أقـاموا دكـاكينهم علـى أرصفـة الشهرة يشتمون كل شهير ويحطمون كل التقاليد ويحرقون كل كريم فى حياتنا الأدبية ... ويلهم لو أبصـروا لوجـدوا أنهـم يشـتمون أنفسـهم لا المشاهير ، ويحطمون كيانهم هم لا التقاليد ويحرقون فلا يحرقون إلا البقية الباقية من إنسانيتهم .

مساكين هؤلاء الناس سيظلون ينبحون علـى أمـل أن يصبحـوا كلابـا شهيرة ماداموا قد فشلوا أن يصبحوا آدميين على شىء من المكانة . ومـع

ذلك ، فالكلاب النابحة لا تصيب شهرة لأن كل الكلاب تستطيع أن تنبح .

خطاب من الدكتور وحيد رأفت :

كتب الأستاذ الكبير الدكتور وحيد رأفت هذا الخطاب إلىّ ، ويشرفنى أن أضع الخطاب كما جاءنى فكاتبه أكبر من التعريف وما يكتبه أكبر من التلخيص ومن التعليق أيضا .

٣ أغسطس ١٩٧٦

« بعد التحية »

« استوقفت نظرتى فى الأهرام (الثالث) من أغسطس كلمتكم المعادة (إلى) السيد وزير الحربية حول تجنيد الشباب بعد سن الثلاثين ، وإشارتكم فيها إلى الرسائل التى انهالت على الأهرام من أسر مصرية عديدة تطالب بإعادة النظر فى هذا الأمر ، ولعلكم تذكرون أن قانون الخدمة العسكرية الإلزامية كان ينص فى الأصل على انتهاء هذا الإلزام ببلوغ سن الثلاثين ثم فى تمديدها إلى الخامسة والثلاثين ..

وهو تعديل غير حكيم وغير ضرورى ، أما عدم حكمته فلأن الشاب بعد الثلاثين وقد تقدمت به السن انشغل بمشاكل الحياة ، فلن يكون أهلا لأداء الخدمة العسكرية الإلزامية على وجه مرض كابن الثامنة عشر أو الخامسة والعشرين مثلا ، وأما عدم ضرورة التعديل المذكور فلأن التجنيد ومعسكرات التدريب غير جادة ، وترتب على ذلك أن جزءًا كبيرًا من هؤلاء المجندين إلزاميًا أصبح لا يؤدى الخدمة إلا صوريًا أو بصورة ناقصة لا تحقق الغرض المنشود من فرضها أصلاً ... كما توافقنى

على أن رفع سن التجنيد الإلزامى إلى الخامسة والثلاثين أدى إلى أن نفـرًا ليس بالقليل من أبنائنا ممن أتيحت لهم فرص السـفر إلى الخـارج قبـل أداء الخدمة الإلزاميـة أصبحـوا يتحرجـون مـن العـودة إلى الوطـن قبـل بلـوغ الخامسـة والثلاثـين . حتـى لا تلاحقهـم الإدارات المعنيـة بتنظيـم أعمـال التجنيد ... ومـن بـين هـؤلاء المواطنـين مـن أسعفه الحـظ ، أو سـاعدته دراساته ومواهبه فى العثور على عمل مجز يؤمـن مسـتقبله ، ومـن بينهـم من تزوج وأنجب . ولا يصح فى الأذهان أن يرضى مثل هؤلاء عن طيب خاطر بالتضحية بوظائفهم وأعمالهم ومستقبلهم والانفصال عن زوجاتهم وأولادهم لغرض أداء الخدمة العسكرية والإلزامية فى تلك السـن ، وربمـا لأجل غير مسمى قد يمتد لبضع سنين كما كان الحال فعلا فى السـنوات الأخيرة .

لذلك ، فقد أحسنتم صنعا بتنبيه السيد وزير الحربية ومعاونيه إلى هـذا الأمر الهام .

انتهى ....

الأهرام ــ العدد ٣٢٧٦٧
الجمعة ٢٧ أغسطس ١٩٧٦

خطاب إلى وزير التعليم

كم كنت أشفق عليك وأنت تدير معركـة الامتحانـات ، شـاعرا بما أعرفه فيك من يقظة الضمير أنك تعتبر نفسك مسئولا عن كل خطـأ قـد يرتكب أثناء حلقات الامتحان جميعا بادئة بالأسئلة ، وهى سر لا بـد لـه أن يستخفى حتـى تتمـاثل الفـرص منتهيـة بقبـول النـاجحين بالجامعـات حسب ما حصلوا عليه من مجموع .

واليوم أوشكت المعركة علـى النهايـة ، ولا يسـتطيع منصـف لـك أو للحق إلا أن يعترف أنك أدرتها بما يرضى الله والضمير النزيه ..

ولا أحـب يا سيدى أن أنغص عليك لذة الانتصـار ، ولكـن لا بـد أن أناقش معك بعض الأمور .

لقد توفرت السرية فى أوراق الإجابة ، ولكــن هـل أنـت مطمئـن يـا سيدى الوزير تمامـا أن المدرسـين الذيـن صححـوا أوراق اللغـة العربيــة بالذات على علم كامل بالنحو علما وذوقا يتيح لهم أن يحكموا على مـن يجيد الإنشاء مثلا ومن لا يجيدها .

أنا أشك فى ذلك . ولا علينــا الآن مـن المـاضى وإنمـا أريـد أن نلقـى نظرة إلى المستقبل .

ألا يمكن يا سيادة الوزير إعداد حلقات دراسية لهؤلاء المدرسين ليتقنوا النحو إتقانا يتيح لهم أن يدرسوه .

والآن ونحن على أبواب عام جديد ، ماذا ستكون سياسة الوزارة فى وضع البرامج لتعليم اللغات . فالعلوم حقائق ثابتة لا تحتاج إلى اجتهاد ، أما الآداب التى تنتسب اللغات إليها فهى فن وعلم فى وقت معا . من الذى سيختار النصوص فى اللغة العربية ؟ إن الطفل إذا بدأ دراسته فى اللغة العربية بقول الشاعر :

المجد لا يرضى بأن ترضى بأن   يرضى المؤمل فيك إلا بالرضا

سينصرف عن الأدب العربى قديمه وحديثه .

والتلميذ إذا بدأ بدراسة أبيات شوقى بالطريقة التى تدرس له اليوم سيختلط عليه الأمر وتتماع فى ذهنه ملامح الذوق الفنى ، ويصبح وهو لا يدرى ما هو الشعر الجيد وما هو الشعر الساقط ويترك الأدب وينصرف عنه وينصرف عن اللغة العربية كلها .

والتلميذ إذا قررت عليه رواية لا قيمة لها من الناحية الفنية ، وإنما كل ما تمتاز به أنها تدعو إلى مكارم الأخلاق فى أسلوب مقالى مباشر ، أصبح وهو لا يدرى الفارق بين العمل الفنى الذى يتمثل فى القصة والرواية المسرحية وبين المقالات وخطب الوعظ والحكم وغير ذلك من صنوف الكلام التى لا تتسم بالفن وبذلك ينأى عن القراءة الأدبية جميعا .

إن مهمة المدرسة ضخمة ، فهى لا تقدم المعلومات فحسب وإنما هى تنشئ جيلا بأكمله تتعلق به آمال بلاده . ولست أغالى إن قلت إن آمال العرب جميعا تتعلق بهذا الجيل ، فإن مصر ستظل زعيمة العالم العربى فى الآداب والفنون .

ولهذا أقترح يا سيادة الوزير أن تختار لجنة من كبار الأساتذة فى الجامعة وغير الجامعة لتشترك فى وضع المقررات والبرامج فى اللغة العربية ، وإننى لعلى ثقة أنك تدرك خطورة المهمة التى تضطلع بها هذه اللجنة ، وما يجب أن يتوفر لها من علم راسخ وذوق رفيع وفقك اللّه .

ثروت أباظة

الأهرام ــ العدد ٣٢٧٧١
٣١ أغسطس ١٩٧٦

شريعة الحضارة هى شريعة الغاب

شريعة الغاب فيما تعرف هى التى تكون الغلبة فيها للأقوى . وهى التى كانت سائدة حين كان الإنسان غريزة بلا حس ومطالب جسمانية بلا مشاعر وحيوانا يوشك أن يكون أعجميا بلا روحانية أو فن أو بعض سمو .

وكان الإنسان فى هذه الفترة لا يدرك معنى إلا أن يأكل ويتوالد . فإذا تزعم منهم زعيم فبالقوة وحدها يتزعم ، حتى إذا علت به السن وأنهكته الأيام غلبه على أمره زعيم آخر ، وقد يكون هذا الزعيم ابنه فأرفق ما يصنعه بأبيه أن يرمى به إلى عقر الدار كمية من الهمل يلقى إليه بالطعام إلقاء . فإذا حدثت مجاعة وقل الصيد فأول من يحرم من الطعام هو ذلك الأب وليلقفه الموت ما دام ضعيفا ولا يستطيع أن يحصل على قوته .

القوة وحدها هى السيد ولا سيد غيرها . والعقل لا عمل له والمعانى الأخرى التى عرفتها البشرية فيما بعد غيب محجب لا يدرى أحد من الناس عنه شيئا . بل قد نعرف عن الغيب خبرًا أما هذه المعانى فقد كانت شيئا غير معروف على إطلاقه .

ومرت الأزمان ، وادعى الإنسان أنه تحضر وعرف الرقى والسمو والرفعة . وأشرق العلم بأضوائه الساطعة ، وتسابقت الفنون على ألوانها وأشكالها المختلفة من موسيقى إلى أدب إلى فن تشكيلى إلى تمثيل . وادعى الإنسان أنه أصبح ذا مشاعر رفيعة يعرف الحب ويعرف الوفاء

ويعرف طاعة الآباء والبر بهم ويعرف الصداقة ويعرف أسمى ما بلغته البشرية من التضحية من أجل الوطن أو الصديق أو الأب أو الابن .

ولعل هذه المعانى تكون حقيقة فى حياة أفراد . وصلات بعض البشرية ببعض . ولكن أين هذه المعانى من صلات الدول بعضها ببعض ؟

لم تستطع هذه المعانى أن تمنع الحروب ، فشملت عهود التاريخ جميعا مستمرة متلاحقة حتى لا يستطيع الإنسان أن يذكر فترة من التاريخ مرت دون حروب مستطيلة متلاحقة سنوات عددا أو تنكمش لتنتهى فى فترة وجيزة لتتبعها حروب أخرى وتأخذ حرب برقاب حرب أخرى .

حتى كانت الحرب العالمية الأخيرة ، وانفجرت القنبلة الذرية لتمحق مدينتين فى اليابان إن وجد مفجرهما عذرا هشا للقنبلة الأولى مدعيا أنه ينهى بها حربا عالمية استحال عليه أن يجد العذر للقنبلة الثانية التى كان عنها فى غناء شديد ، إلا أن يكون ميراثه من عهد الغاب هو الذى سيطر عليه وهو يلقيها ، بل لعله كان أكثر همجية من عهد الغاب لأن الإنسان الأول كان يقتل ليأكل ولم يكن يقتل لمجرد القتل .

واستطاعت هذه القنبلة حين استقرت آمنة عند الدولتين الكبيرين أن توقف الحروب العالمية . ولكن هل توقفت الحروب العالمية بسبب السمو الإنسانى أم بسبب خوف كل دولة من الاثنتين مما قد تلحقه به الأخرى ؟ المؤكد أن المعانى السامية لا شأن لها بتوقف الحروب الكبرى ، ولو أن إحدى الدولتين أصابت القنبلة الذرية دون الأخرى لسيطرت على العالم أبشع ما تكون السيطرة .

وحين ضمنت الدولتان الكبريان ألا حرب بينهما قسمتا العالم بينهما ، فأما إحداهما فتجتذب أنصارها من الدول بسكب المال عليها وإشعارها دائما أنها تحتاج إليها .

وأما الأخرى فقد سلكت طريقا مختلفا كل الاختلاف ، فهى تسلب الدول الواقعة فى حوزتها مالها ، وتفرض عليها نظامها فرضا لا رحمة فيه ولا شفقة . حتى إذا حاولت دولة كالمجر أن تثور انطلقت إليها الدبابات الروسية تدوس الأطفال وتفعصهم كالهوام والحشرات . وإذا حاولت دولة أخرى أن تغير بعض الأنظمة فيها تهطل عليها خمس دول تتزعمهم روسيا بالسلاح وتسحق محاولة التغيير .

وتنتشر الحروب الصغيرة لتعوض العالم عن الحروب الكبرى ، فهو عالم دموى قوى الأواصر بأجداده من عصر الغاب فهو بذلك أصبح لا يستطيع العيش إلا على الدماء .. وويل للمغلوب ..

تسرق إسرائيل فلسطين . وتتوالى الحروب بين مصر وإسرائيل ونهزم هزيمة ٦٧ فإذا العالم المتحضر جميعا يشيح عنا بوجهه ، ويبدأ التعايش السلمى على أشلاء الجثث المصرية فى سيناء ، وتتفق الدولتان الكبريان أول اتفاق لهما على أن يتركا المنطقة فى حالة استرخاء عسكرى . ولِمَ لا وقد غلبت دولة أخرى غلبة ساحقة وأصبح من المؤكد أن مصر لن تستطيع أن ترفع رأسها إلى أبد الآبدين ، فلا خوف إذن من المنطقة ، وخير ما يصلح لها هو الاسترخاء العسكرى . فما دمت لا تستطيع أن تغلب مت . هذا هو منطق الحضارة الرفيعة فى قمة مجدها لا تختلف فى شىء عن منطق الغاب السحيق البعد فى غياهب التاريخ .. اغلب أو مت .. وما الاسترخاء على الهزيمة .. أليس هو الموت وما البأس بك أن

تموت ما دمت لا تستطيع أن تنتصر . على هذا تتفق الدولتان .. الدولة التى تكتب على عملتها « بالله نحن نؤمن » والأخرى التى ترفع شعار المادية وتعتمد فلسفتها على الشعار الذى رفعوه « بالله نحن نلحد » أقصى الروحانية وأقصى المادية ... كلاهما اتفق على أن الاسترخاء هو الأخلق بالمنطقة والأجمل بها والأحرى .

وتشمخ علينا الأنوف أننا هزمنا ، وتتعالى نغمات الاحتقار من الصديق قبل العدو . ونرتكس فى الذل والمهانة والإحباط . ونمشى فى البلاد العربية التى استمدت ثقافتها وحضارتها من ثقافتنا وحضارتنا منكسى الرؤوس انكسرت منا العيون وذلت الرقاب وانهزمت نفوسنا داخل نفوسنا فكان كل فرد منا يحس أنه هو نفسه هزيمة ٦٧ لا يحملها وإنما يمثلها فهى هو وهو هى .

وننتفض لنحقق أول نصر عربى فى العصر الحديث ، فإن الدولة التى تمثل قمة الحضارة تلتفت إلينا فى دهشة إكبارًا ويصبح العجب إعجابًا والتعجب إجلالا وتنتصر نفوسنا داخل نفوسنا ، ويمثل كل منا انتصار ٧٣ وكأنه هو الانتصار ، ألم تستطع الدول المتحضرة أن تذكر حضارتنا حين كان العالم فى جهل وبجاهل ؟

ولم تستطع أن تذكر تزعمنا الثقافى للمنطقة جميعا حتى ونحن فى أشد أوقات الهزيمة والاندحار .

ولم تستطع أن تذكر أننا مهد النبوات وأرض الرسالات ومشرق الفكر الدينى وأغنى بلاد العالم بالآثار . ففيم إذن يكتبون على عملتهم « بالله نحن نؤمن » ؟

إنها شريعة الغاب لم تترك نفس الإنسان حتى وهو فى أرقى عهود حضارته وسموقه .. أينسون كل هذا ولا يلفتهم إلينا إلا أننا حققنا النصر الأخير . ألم يكن تاريخنا جميعا نصرا لنا وللإنسانية ؟

ويل للإنسان من الإنسان !

*** توعية الجماهير :**

لا أعرف شعارًا أسخف من شعار توعية الجماهير هذا . ولعل جمعية تنظيم الأسرة هى أعظم دليل على ما أذهب إليه . فهذه الجمعية فيما أعتقد قامت لتبث الوعى بين الجماهير أن يحددوا النسل حتى لا ينوء رب الأسرة بعدد كبير من الأولاد ويصبح وهو لا يستطيع الإنفاق عليهم ، وحتى لا ينوء الوطن بأبنائه فيصبح وهو غير قادر على القيام بشأنهم .

ومنذ قامت هذه الجمعية والأطفال ينسلون إلى الحياة زرافات ولا أقول وحدانا .

وتنظر حواليك فتجد الأسرات ، كلما كانت جاهلة كثر فيها النسل ، وكلما ازدادت بها الثقافة قل فيها الأطفال .

والأسر المثقفة لا صلة لها بجمعية تنظيم الأسرة ولا بالشعارات التى ترفعها . ومن عجب أن تحاول هذه الجمعية بث دعايتها عن طريق التليفزيون بينما المقصودون بهذه الدعاية لا يكادون يجدون طعام يومهم ، فما خطبك بالتليفزيون ؟

وكنا ظننا أن انتشار الراديو فى القرى سيجعل الفلاح يجد ملهاة أخرى غير إنجاب الأطفال ، فإذا بالأمر يزداد سوءا ويلازم داره مع الراديو ويزداد الإنجاب .

وجمعية تنظيم الأسرة ـ فيما أعتقد ـ ذات ميزانية وإلا فمن أين تنفق على رعايتها وعلى مرتبات الموظفين بها .

ترى أيعتقد القائمون بأمر هذه الجمعية أنهم حققوا أى نجاح بدعايتهم وبتوعيتهم للجماهير . وإن كان هذا ظنهم فأين أثره ؟

الحقيقة أن الوعى يأتى من داخل الإنسان ، وهو لا يأتى من فراغ ، وإنما يأتى من تفكير ، والتفكير لا يكون إلا مع شىء ولو يسير من الثقافة ، والثقافة لا تكون إلا مع شىء ، ولو قليل من العلم ، والعلم لا يكون إلا بتعلم القراءة والكتابة ، فلو شاءت هذه الجمعية أن تكون ذات نفع فلتنس ولو إلى حين مشكلة تحديد النسل ، ولتنفق جهدها ومالها فى مشكلة تحديد الجهل .

فإذا قرأ الأمى فكر ، وإذا فكر سيعرف هو من تلقاء نفسه كيف يحدد نسله وتصل الجمعية إلى ما تنشده .

ثروت أباظة

رقم الإيداع : ١٠١٩٨ / ٩٩
الترقيم الدولى : ٧ - ١٢٩٣ - ١١ - ٩٧٧ I.S.B.N